العيد الذهبي لاتحاد الكتاب العرب
2019 - 1969

الأدبي الأسبوع

www.awu.sy

الثقافة ثراء وسيرورة لا تنتهي

الأسبوع الأدبي - "السنة الواحدة والثلاثون" العدد: "1711" الأحد 10/1/2021م- 27 جمادى الأولى 1442 | 12 صفحة | 25 ل.س

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب في سورية

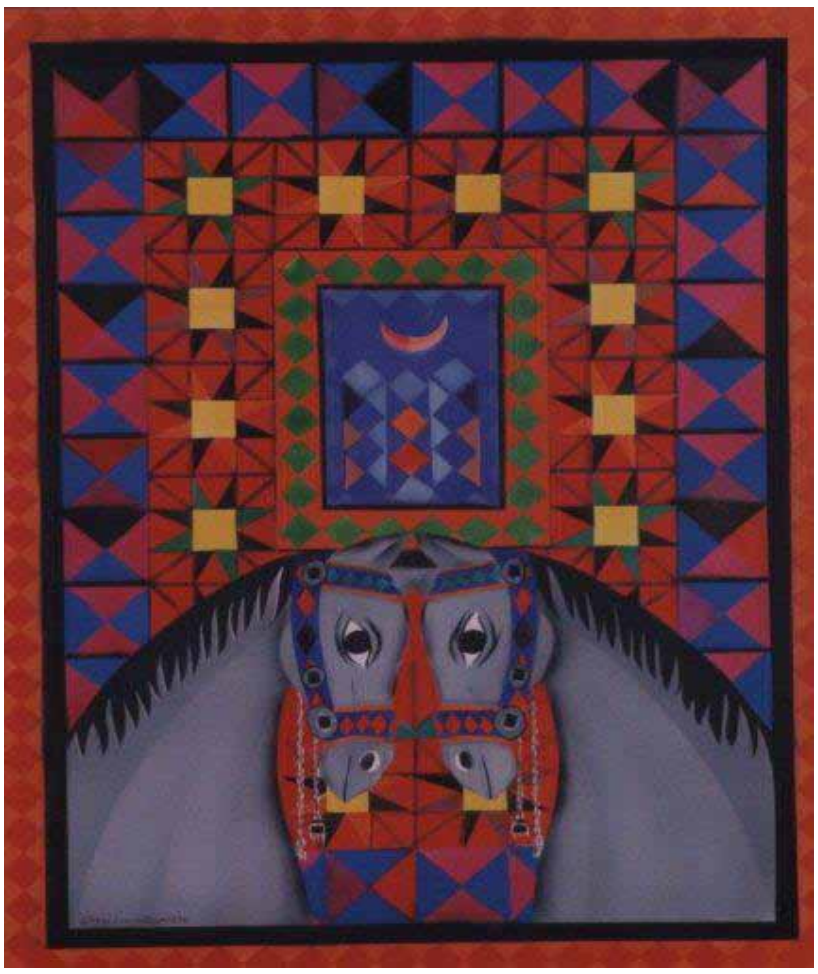

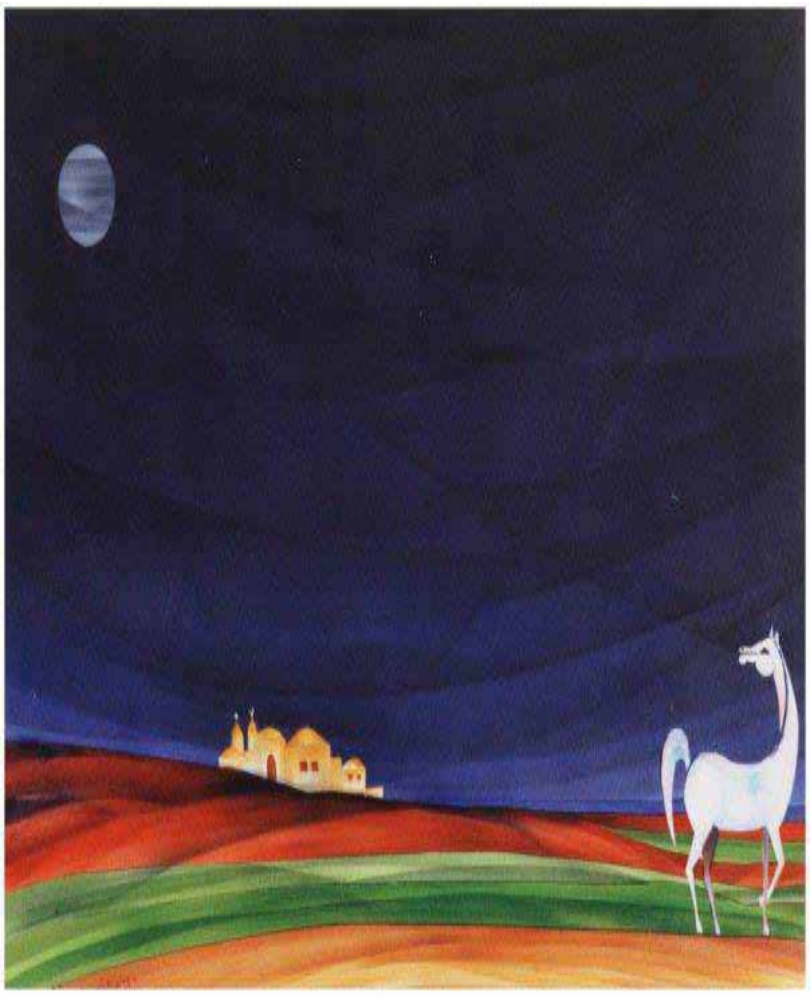

لوحتان للفنان التشكيلي غازي انعيم

•مالك صقور

كلمة أولى

في الذكرى السنوية الأولى لاستشهاد القائد قاسم سليماني

ها هم الشهداء مصابيح مضيئة تزين صدر السموات السبع... ها هم الشهداء قناديل متلألئة تنير لسنا الأرض اليباس، وتكشح الظلام والظلامية، تقبر خفافيش الظلام، تطهّر أرض سورية المقدّسة من رجس التكفير والإرهاب والمرتزقة..

واليوم نُحيي ونُحيِّي ذكرى الشهيد الأولى للفريق قاسم سليماني، البطل المقدام، المغوار، الفارس، الباسل الذي ارتقى شهيداً فدقت له الخليلة ابتهاجاً في الأرض، وفي السماء، نحتفي به ورفيقه أبي مهدي المهندس ورفاق المقاومة جميعاً.

وقد يكون من نافل القول، الآن، الحديث عن: منبته، ونشأته، وحسبه، ونسبه، لأن ما توّج به قاسم سليماني في حياته يتفوق على كل تضحية.

لأن فروسيته تعلو كل حسب ونسب.

لأن ما قدّمه الشهيد الفارس المغوار المقدام لم نقدمه نحن الأحياء.

ما قدّمه الشهيد البطل من فداء وكرم وتضحية يفوق كل سخاء.

وأسخى من كل عطاء، وأعظم من كل تضحية.

×××

العلاقة الجدلية، التي تقوم بين من يكتب سفر خلاصه بدمه، وبين من يكتب بالحبر من أجل الخلاص. علاقة عميقة ومتينة.

فحين يُحني الدمُ ترابَ الوطن، تخضلّ الحروفُ وتخضرّ، لتنغرس جذورها عميقاً في تربة الإبداع، لتنبت عزة وكرامة.

نعم، العلاقة جدلية، بين الكلمة الصادقة المسؤولة التي نذرت نفسها للحق والحياة، وبين إنسان تتلخص عنده معاني الحياة في وقفة عز على أرض وطن عزيز.

×××

علاقتنا نحن السوريين، مع الشعب الإيراني، علاقة قديمة، وقديمة جداً، ولا أخطئ إن قلت: مذ قال الرسول الأعظم: سلمان منا آل البيت. واستمرت العلاقة حين انتصرت الدعوة الإسلامية، وكان تفاعل الحضارتين العربية والفارسية تفاعلاً مثمراً فأنجز علوماً وأدباً وسيراً، وفلسفة، ومن يقرأ التاريخ من جهة، ويطلع على الأدب المقارن من جهة ثانية، سيعرف المنجز الحضاري العظيم للحضارتين: الفارسية والعربية.. التي كانت القاعدة للحضارة الحديثة والجديدة.

×××

لقد كان انتصار الثورة في إيران بقيادة الإمام آية الله الخميني، منعطفاً في تاريخ المنطقة والإقليم، والعالم. فقضى على قاعدة رجعية، وجحر من جحور الإمبريالية الأميركية الذي يحرسه الشاه البغيض.

وكان من أولى أعمال هذه الثورة: طرد السفير الصهيوني من طهران، وتحويل سفارة الكيان الصهيوني إلى سفارة فلسطين، حيث ارتفع العلم الفلسطيني أول مرة في سماء طهران، وأطلقت الثورة اسم فلسطين على أكبر ساحة جميلة في قلب طهران، كما وأطلق اسم فلسطين على أجمل شارع عريض وسط العاصمة طهران.

وقد أسّس القائد الخالد حافظ الأسد، وقائد الثورة الإسلامية المظفرة الإمام آية الله الخميني قُدّسَ سرّه، العلاقات الأخوية المتينة، على الرغم من كل الصعوبات والتحديات من الرجعية العربية والإمبريالية الصهيو-أميركية.

واستمرت هذه المسيرة، وأصبحت هذه العلاقة أقوى وأمتن بقيادة القائد المقاوم الشجاع الرئيس بشار الأسد، والقائد علي الخامنئي.. وأصبحنا اليوم، إخوة الدم-دم الشهداء، الذي صار ترابنا حناءً من دمهم. إذ يغرس الشهيد الفارس غرسة تشرق أملاً وضاءاً، وعزة وكرامة.

فالشهادة وحدها هي التي تعطي حين تنطق، فإنها تختصر آلاف المجلدات، والكتب والشعارات؛ حين يصرخ البطل:

أنا الفدائي، أنا الشهيد: "نموت ليحيا الوطن"

نموت لتنتصر القضية، نموت ويحيا الشعب، في وطن يكبر بالشهداء

ويهزم أعداء الوطن في الداخل والخارج، يهزم أعداء الله، ويهزم أعداء الإنسانية.

وأختم بقول السيد الرئيس المقاوم رئيس الجمهورية العربية السورية بشار الأسد في برقية التعزية لقائد الثورة الإيراني الإمام علي الخامنئي ورئيس الجمهورية حسن روحاني حيث أبرق معزيا:

((سيبقى ذكر الشهيد سليماني خالداً في ضمائر الشعب السوري، الذي لا ينسى وقوفه إلى جانب الجيش العربي السوري ضد الإرهاب وداعميه، وبصماته الجليّة في العديد من الانتصارات ضد التنظيمات الإرهابية)).

المجد لشهداء المقاومة

المجد للشهيد البطل المغوار الباسل قاسم سليماني ورفاقه

المجد لمن نذر دمه لأرض الوطن

خطة الكونغرس لإخضاع السودان للهيمنة الأميركية الكاملة بعد إجباره على الاعتراف بكيان العدو الصهيوني

• حسن حردان

يبدو من الواضح أنّ الخطة الأميركية لإخضاع السودان وفرض الهيمنة الكاملة عليه دخلت مساراً جديداً، البداية كانت مع خطوة إزالة اسم السودان من لائحة الإرهاب الأميركية، مقابل رضوخ الحكم السوداني لعقد اتفاق الاعتراف بكيان العدو الصهيوني وإقامة العلاقات معه... فالخطة لها تتمة من الشروط الأميركية المطلوب تنفيذها من السودان لقاء قيام وزارة الخزانة الأميركية ب «دفع المؤسسات المالية الدولية لإعادة هيكلة أو تأجيل، أو إلغاء ديون السودان»، حسب ما ورد في مشروع قانون يُدرس في الكونغرس الأميركي، يهدف إلى وضع السودان بكلّ مؤسساته تحت الإشراف والوصاية والأمرة الأميركية، أيّ إعادته إلى زمن السيطرة الاستعمارية بكلّ أشكالها.. وذلك تحت عنوان تطبيق «قانون الانتقال الديمقراطي في السودان والمساءلة والشفافية المالية للعام ٢٠٢٠، «وهو يحظى بدعم واسع من الحزبين الديمقراطي والجمهوري، لهذا فقد

تمّ إدراجه ضمن مشروع التمويل الدفاعي الذي مرّره الكونغرس بإجماع كبير من الحزبين.

ويتطلب المشروع من الخارجية الأميركية تقديم تقرير

عن استراتيجيتها المذكورة، يتضمّن أهداف الولايات المتحدة في الانتقال السلمي السياسي في السودان، والخطة التي ستعتمدها لتحقيق هذه الأهداف، إضافة إلى تقييم للإصلاحات اللازمة لترويج حقوق الإنسان والمساءلة، ووصف للجهود الرامية لتحقيق هذه الإصلاحات. كما يتضمّن تقييماً لإصلاحات القطاع الأمني في البلاد

من قبل الحكومة السودانية كتفكيك الميليشيات، وتعزيز السيطرة المدنية على القوات العسكرية.

وحسب نص المشروع، يطلب المشرّعون من الرئيس الأميركي تقديم الدعم لجهود حماية حقوق الإنسان، وبسط سلطة القانون والحكم الديمقراطي، إضافة إلى دعم البرامج الهادفة إلى تقديم النمو الاقتصادي وإنتاجية القطاع الخاص. كما يدفع باتجاه دعم الاستراتيجيات الرامية إلى تعزيز فرص سلام واستقرار طويل الأمد، ومساءلة قوى الأمن والاستخبارات السودانية. إضافة إلى المحاسبة على جرائم انتهاكاته حقوق الإنسان، واستغلال الموارد الطبيعية، وتهديد العملية الانتقالية الديمقراطية في السودان.

ويتحدث القانون عن مراقبة أموال الجيش والأجهزة الأمنية والعسكرية، وأصولها، وميزانيتها، والكشف عن أسهمها في جميع الشركات العامة والخاصة.

وينص أيضاً على ضرورة وضع لائحة بكلّ الأسهم في الشركات العامة والخاصة التي تديرها أو تملكها قوى الأمن

والاستخبارات ونقل كلّ هذه الأسهم إلى وزارة المالية أو أيّ هيئة تابعة للحكومة السودانية والتي أسّست لهذا الغرض، والتي تقع تحت السلطات المدنية.

ويشمل النص وقف أيّ ضلوع لقوى الأمن والاستخبارات في الاتجار غير الشرعي للموارد المعدنية بما فيها النفط والذهب إلخ...

هذه الخطة المدرجة في القانون ليست لمساعدة السودان وإخراجه من أزماته الاقتصادية والمالية والاجتماعية، وإنما لفرض الهيمنة الكاملة عليه.. وهي نتيجة رضوخ الحكم السوداني للشروط والإملاءات الأميركية، بالتخلي عن سيادة واستقلال السودان.

فمن يعتقد انّ الأمر قد ينتهي بتلبية الطلبات الأميركية بتوقيع اتفاق صلح واعتراف بكيان العدو الصهيوني على حساب قضية العرب الأولى قضية فلسطين، مقابل شطب اسم السودان من لائحة الإرهاب الأميركية، إنما هو واهم واهم.. فهذا الأمر لا يعدو مجرد بداية طريق إخضاع السودان، أو أيّ بلد آخر يسلك طريق الاستسلام للإملاءات الأميركية... إنها بداية لسلسلة لا تنتهي من الطلبات التي على الحكم السوداني تنفيذها حتى يصبح تابعاً بالكامل سياسياً واقتصادياً ومالياً وعسكرياً وأمنياً لمنظومة الهيمنة الاستعمارية الأميركية.. أيّ أن يصبح السودان محكوماً من قبل الولايات المتحدة التي تريد أن تشرف على سياسات حكومته وصولاً إلى إدارة مؤسسات الدولة السودانية، وإعادة بناء الأجهزة العسكرية والأمنية السودانية لتكون أداة طيعة بخدمة الاستراتيجية الأميركية في الوطن العربي وأفريقيا، في حين تتولى الشركات الأميركية وضع يدها على ثروات السودان النفطية والمعدنية والعمل على استغلالها مقابل إعطاء السودان بعض الفتات من عائداتها.. بينما تتولى وزارة الخزانة الأميركية الإشراف والرقابة على وزارة المالية والمصرف المركزي السوداني، بذريعة إدارة وترشيد الإنفاق لضمان إيفاء السودان لديونه الخارجية...

انها العقلية الاستعمارية الأميركية، وهي تذكرنا بنفس العقلية الاستعمارية البريطانية الفرنسية في طريقة تعاملها مع مصر أيام حكم الخديوي اسماعيل، الذي نجحت كلّ من لندن وباريس في استدراجه للوقوع في فخ المديونية مما أغرق مصر بالديون حتى عجزت الحكومة المصرية عن السداد، فسارعت بريطانيا وفرنسا إلى وضع يدهما على وزارة المالية المصرية بذريعة ضمان تحصيل ديونهما...

هذا ما يبشر به مشروع القانون في الكونغرس الأميركي، السودان، بأنّ عليه أن يطبّق حزمة من الشروط والطلبات الأميركية مقابل وعد أميركي بهيكلة، أو تأجيل، أو إلغاء الديون الخارجية المترتبة على السودان.. انها وسائل الاستعمار لإفقار الدول وإخضاعها ونهب خيراتها وإبقائها في حالة من التخلف والتبعية.. والسودان من الدول الغنية بالموارد الطبيعية التي يطمع المستعمر الأميركي في استغلالها ونهبها لحلّ أزماته على حساب الشعب العربي في السودان.. واستطراداً تحويل السودان إلى قاعدة للتآمر على الدول الأفريقية والعربية المستقلة والعمل على إخضاعها لمنظومة التبعية الاستعمارية الأميركية، لتمكين الولايات المتحدة من التمدّد في هيمنتها الاستعمارية، عربياً وأفريقياً.. في سياق سعيها لإعادة تعويم مشروع هيمنتها الذي يعاني من التراجع والانحسار.. لهذا لا تنتظروا خيراً من المستعمر الأميركي، فهو عندما يعرض مساعدته للسودان أو أيّ بلد آخر وقع في فخ المديونية، إنما كمن يدسّ له السمّ في العسل، للإيقاع به في شباك التبعية والعبودية...

لغتنا الجميلة

• معاوية كوجان

لَمَنْ يتساءَلُ في نفسه عن إعرابِ صيغةِ الترحيبِ التي نستخدمها عند استقبال الضيوف: (أهلاً وسهلاً). نقول: أصل العبارة هو: حَلَلْتَ أهلاً وَوَطِئْتَ سَهْلاً. أي نزلتَ عند أناسٍ يحبونك كأنهم أهلُكَ، تأمَنُ على نفسكَ ما دمتَ فيهم، ونزلتَ في مكانٍ فيه الرَّغَدُ والطمأنينةُ واللِّين. وعلى هذا، نعربُ (أهلاً وسهلاً) مفعولين به لفعلين محذوفين هما: (حللتَ) و(وطِئْتَ) أو (نزلتَ). نقولُ في مثل هذا السياق: المفتاحَ، البطاقةَ، الكتابَ، أي أعطني المفتاحَ، وخُذِ البطاقةَ، وناوِلْني الكتابَ.

(بأبي أنتَ وأمي): عبارةٌ مستَخدَمةٌ في مَقولنا تعني: أفديكَ بأبي وأمي يا فلان. ونقولُ في إعرابها: (بأبي) جارٌّ ومجرورٌ متعلّقان بخبرٍ مُقَدَّم تقديرُهُ (مَفديٌّ أنتَ)، و(أنتَ) مبتدأٌ مُؤَخَّر، أي: مَفْديٌّ أنتَ بأبي وأمي.

سَعْدَيْكَ وحنانَيْكَ ولَبَّيكَ، كلماتٌ نتداولها، ومن الجميل التذكيرُ بإعرابها:

نقولُ في إعرابِ (سَعْدَيْكَ): مفعولٌ مطلَقٍ منصوبٌ وعلامةُ نصبه الياءُ لأنه مثنى، بفعلٍ محذوف تقديرُهُ (أسعَدَكَ اللّهُ إسعاداً بعد إسعاد). ومثلها (حنانيكَ ولبيك). وتأتي بلفظ المثنى، ولكنها تدلُّ على الجمع والكثرة.

عن ثائر حمّاد وروايته

•رشاد أبوشاور

سأبدأ حديثي عن البطل ثائر حماد وروايته (فارس وبيسان).

سمعت بعمليته المثيرة للدهشة: فلسطيني واحد يقنص 11 جنديا صهيونيا ويوقعهم قتلى، وينسحب دون العثور على أثر يوصل أجهزة وجيش الاحتلال للقبض عليه.

حدث هذا بتاريخ 3 آذار 2002

وبعد سنتين وبالمصادفة تعرّف الاحتلال على ذلك البطل الذي بقي مجهولا طوال أكثر من سنتين..فقبض عليه وزج به في السجن، وحكم عليه ب11 مؤبدا عن الأحد عشر جنديا من جنود جيش الاحتلال.

المنطقة التي حدثت فيها مأثرة ثائر حماد تقع على الطريق العام، شمالي رام الله، طريق رام الله – نابلس، وهي منطقة متعرجة عميقة، وتقاطع طرق، وقد جعل الاحتلال منها حاجزا مهمته تعذيب الفلسطينيين، ومرمرة حياتهم، وإضاعة أوقاتهم، وحرمانهم من الوصول في الوقت المناسب لقضاء أعمالهم.

الشاب ثائر حماد ورث من جده البندقية التي أتقن القنص بها، وهي بندقية اخفاها جده بعد هزيمة حزيران – كان الجد جنديا في الجيش الأردني - وحافظ عليها، ثم أظهرها لحفيده في مرحلة السلطة، ودرّبه على استخدامها...

درس ثائر موقع حاجز عيون الحرامية، وكثافة جنوده، واعتلى تلة مشرفة، وكمن خلف صخرة تحجبه عن عيون الجنود، و..نفّذ عملية القنص التي كانت حفلة صيد من شاب فلسطيني مقهور لجنود الاحتلال السفلة الذين استمرأوا الاعتداءات على المسافرين الفلسطينيين...

القتلى من الجنود 11..وامرأة توقفت عند الحاجز ذاهلة ومعها ابنتها..فصرخ بها ثائر: امش يا امرأة أنت وابنتك أنا اقتل الجنود..ونجت من الموت لأن ثائرا لا يقتل امرأة مدنية وطفلتها.

في السجن التقى بأسرى مخضرمين، اعتنوا به، وساعدوه وشجعوه على استئناف دراسته، فنجح في التوجيهي.. وأنهى الدراسة الجامعية.

ذات يوم اتصل بي أسير، هو قريبي، وسألني: هل يمكن أن تساعد أسيرا بقراءة روايته الأولى..وتعتني بها.. وإن أعجبتك تساعد في نشرها؟

أجبته بلهفة مرحبا، وازددت حماسة عندما عرفت أن بطل عملية عيون الحرامية هو صاحب الرواية.

وصلتني الرواية على المسينجر بخط اليد، فتعبت في قراءتها، وعندما علم ثائر اتصل بي وأكد لي بأنها ستصلني مطبوعة..وقد وصلت بعد حوالي شهر على دفعات مطبوعة.

وكما وعدت، فقد عنيت بها، وعكفت على تنقيحها، وكنت أنقل له ملاحظاتي عندما يتحدث معي، فيؤكد أنه يضع روايته بين يدي، وأنه يوافق على أي تنقيح، أو تصحيح...

استشارني في تبديل أحد الأسماء، وهذا ما كان، وكان علي أن أعود وأقرأ العمل و..أبدّل الإسم، وعندما فرغت وضعت رواية ثائر الصغيرة حجما.. الكبيرة أهمية بين يدي مدير الدار الأهلية الصديق أحمد أبوطوق الذي وعد بالإهتمام بها.

لم يكتب ثائر حماد تفاصيل عملية عيون الحرامية، ومر عليها مرورا عابرا، وقد فهمت منه أنها ستكون عمله القادم...

في روايته (فارس وبيسان) يتطرق ثائر إلى موضوع قد لا يستوقفنا، فهو يجيب على السؤال: ما ذنب أسرة من يسقطه الاحتلال حتى يلحق بها العار، وتنبذ؟

هنا نتعرف إلى أن الأسرى لا يعيشون بين جدران الزنازين راضين بالعزلة التي يفرضها عليهم الاحتلال، فهم يحملون هموم شعبهم، ويتابعون معاناة مجتمعهم، ويواصلون القيام بدورهم في حماية شعبهم، ومتانة مجتمعهم، وتمتين أواصر العلاقة بين الناس الذين ضحوّا من أجلهم، ويتحملون الأسر وعذاباته في سبيل خلاصهم من قهر الاحتلال..حتى بلوغ الحرية، حرية الوطن والشعب.

لا أريد أن ألخص الرواية، إذ لا بد من قراءتها، فهي تعرفنا بما لا نعرف، وتقدم لنا العمق الإنساني للأسير الفلسطيني الذي لا يمكن أن يتعطل دوره باحتجاز الاحتلال لحريته، والزج به بين جدران الإسمنت، وأبواب الحديد، وقهر السجّان.

ثائر نفسه، من خلال شخصية فارس يدفع ببيسان لمواصلة دراستها، ويصونها من ألسنة الجهلاء الذين كانوا يكررون على مسامعها حكاية سقوط والدها وتعامله مع الاحتلال، وهربه إلى الداخل بعد افتضاح أمره.

المقاوم ليس مجرد شخص يحمل بندقية، او قنبلة، إنه (رسالة) و(دور)، فهو من جهة يقاتل الاحتلال ويدفعه ثمن احتلاله، ومن جهة يسهم في تحصين المجتمع وطنيا، وأخلاقيا، وتكافليا، بحيث يسد المنافذ التي يمكن أن ينفذ منها الاحتلال الذي همه تدمير الشعب الفلسطيني وتفكيكه اجتماعيا، وتحطيمه أخلاقيا وقيميا وروحيا ونفسيا.

ما يكتبه الأسرى وثائر حماد أحدهم، يعرفنا بما لا نعرف، ويضيف لأدبنا العربي جديدا، ويشحن ثقافة المقاومة بتجارب إنسانية ترفع الروح المعونية، وتعمق الثقة بالنفس، وتضع العدو في المكانة التي يستحقها كعدو عنصري منحط بلا أخلاق..ولذا يمكن هزيمته، لأنه هكذا..و لأننا أقوى منه بتراثنا، وقيمنا، وبعراقة شعبنا ومجتمعنا وأمتنا، وبعدالة قضيتنا، وبأننا نقاومه ونصارعه ونواجهه منذ أزيد من مائة عام..ولم، ولن..نتعب.

يمكنني القول بأننا بتنا نمتلك مكتبة أدبية أضافها الأسرى..وبات لدينا خبراء في سياسة وإعلام وتفكيرعدونا الصهيوني، وهذا ما يجب أن نعرّف به.. وأن نسهم في الإضاءة عليه، وتوصيلة لشعبنا..ولملايين العرب.

الروايات التي يكتبها الأسرى لا يمكن لنا نحن الذين لم نعش تجاربهم أن نكتبها.. لأنها مكتنزة بتجارب متميزة، غنية بتجاربهم الشخصية وقد امتزجت وتماهت ميدانيا مع تجارب شعبنا الممتدة الغنية التي لا شبيه لها في عصرنا.

أنا لا أكتب لمجرد التعاطف، ولكن اعترافا لهؤلاء المبدعين حياة وكتابة ومعاناة بالفضل في إغناء ثقافتنا ومعرفتنا بأنفسنا..وبعدونا.

لثائر وأخوته الأسرى والأسيرات، الذين..واللواتي، كتبوا، وكتبن ما يضيف لإبداعنا الروائي، والسيري..تقديرنا وشكرنا لأنهم يغنون معرفتنا بعدونا، ويضعون اسلحة نواجهه بها في منازلة وجودنا معه..والتي ستتوج بالانتصار المؤزّر لفلسطين وشعبنا العظيم.زوكل الشرفاء من أمتنا المؤمنين بعروبة فلسطين..وبأنها قضيتهم..لأن تحرر المة ونهوضها رهن بتحرير فلسطين وعودتها قلبا للأمة وجسرا لتواصلها ووحدتها.

• مشاركتي في ندوة أدب السرى – أكثر من قراءة، التي عقدت الساعة السادسة من مساء السبت 13 أيلول في (ساقية الدراويش).

• نوهت خارج النص برواية الأسير البطل حسام شاهين الرائعة (زغرودة الفنجان) ن وهي رواية صادمة بما تنقله عن انحطاط ممارسات الاحتلال، واساليبه في التخريب داخل المجتمع الفلسطيني..وعظمة ونبل وسمو المقاومين الفلسطينيين...

• أو أن اذكّر بان رواية (المجموعة 778) للروائي الكبير توفيق فياض الصادرة عام 1974 هي رائدة الرواية التسجيلية المقاومة في ادبنا الحديث وهي سجّلت بطولة تلك المجموعة بعد هزيمة حزيران 1967.. وكان الكاتب توفيق فياض قد التقى بابطال تلك المجموعة عندما وقع في الأسر بعد اكتشاف دوره كمقاوم مع عدد من فلسطينيي الداخل، وبقي قرابة 4 سنوات في السجن حتى تم تحريره بعد حرب تشرين 1973.

التلميذ وحق المواطنة

• هنادة الحصري

كثيرا ما نصادف تلاميذ يهللون للعطل المدرسية، ولغياب المدرس وأحيانا كثيرة ما يدّعون المرض أو.. الخ. من حيل تجدهم يختلقونها للهروب من التزام المدرسة، واذا راقبت أكثرهم صباحا تراهم «مكره أخاك لا بطل»، وإذا خيرّتهم بين المدرسة وأي شيء آخر ستجدهم يفضلون كل شيء ما عدا المدرسة ترى ما هو وراء كل هذا ؟...

بداية ستكتشف أنهم تلاميذ غير متفوقين أو لنقل أن قدراتهم تحت الوسط أو أقل، وبالتالي فان التلميذ الضعيف الذي يعاني حالة الاخفاق المدرسي سيعيش ضغط الواقع المدرسي بطريقة سيئة وسيغذي هذا الضغط في دخيلته شعورا عميقا بالظلم، فالتعامل مع الطفل على أنه تلميذ ضعيف يعني نعته بأنه طفل سيء.

يرى برنارد لومبيرت «Bernard lempert» الى أن هذه الخلفية الانتروبولوجية القوية تشير الى من هو في مأزق، الى من يعاني وكأنه حامل للشر «.

وعلى هذا فان الطفل الذي يخطئ في جوابه أمام المعلم فهو لم يتنهك أية قاعدة أخلاقية ويمكن تصويب جوابه ولكن ينبغي عدم لومه.

وكما يقول آلان Alan : «ان التعليم يعني تصويب الأغلاط الغلط انساني وهذا لا يعني أن الغلط انساني فحسب، بل يعني أنه مؤنسن أيضا اذ بتصحيح الأغلاط يتأنسن الانسان وان فهم الغلط يثير الفطنة وينبهها «.

وعلى نحو آخر عند اعطاء المعلم العلامة السيئة للتلميذ علنا وعلى مرآى من أقرانه ومسمعهم سيدمر داخل هذا التلميذ لأن من حق هذا التلميذ ألا يفهم ومن حقه أيضا شرح ما عجز عن فهمه لتدارك ما يؤذي شعوره فمجرد اعتبار التلميذ غير ذكي هو خطأ وظلم بحق الانسان.

إن إخفاق الفرد اجتماعيا ومستقبليا هو نتيجة الاخفاق المدرسي فالتمييز بين التلاميذ هو أحد أقوى عوامل التصدع الاجتماعي. وبالتالي فالمدرسة من المفترض أن تكون مكان التمرس الاجتماعي « sacalisation».

وهنا أتوقف قليلا لأوضح الفرق بين التعليم والتربية ان التعليم هدفه ايصال المادة العلمية الى أذهان التلاميذ وليس شرطا أن يتفاعل معها ويتمثلها في سلوكه. ولكن المؤسف أن المعلم اليوم (ولا أقصد التعميم) لا يهتم إلا بحشو المعلومات في ذهن التلميذ وهذا التلميذ ينساها بعد أن يؤدي الاختبار وهذه مشكلة في عدم ربط ما يتعلمه التلميذ في المدرسة بما يمارسه في حياته العملية وهذا هو الفصل بين التعليم والتربية.

يدين عالم الاجتماع ميشيل دومونتيني Michel de Montaigne، بشدة مناهج التعليم المكثفة التي لا خلاص من أن يكابدها التلميذ يقول : " لا يفتأون يصرخون في آذاننا دائبين كمن يسكب في قمع وليست مهمتنا الملقاة علينا سوى ترداد ما قيل لنا «.

أما التربية فغايتها نقل القيم الأخلاقية الى التلميذ والتي ستهيؤه مستقبلا ليكون مواطنا صالحا، فالمدرسة كما يقال هي حيزّ وسيط ومكان انتقالي بين حلقة الأسرة وبين العالم الرحب. فالأسرة تهيأ للطفل الأمان العاطفي والمدرسة تهيأ له التفاعل مع زملائه فيكتشف مجتمعهم ويتهيأ للعيش والتفاعل في العالم والمحيط.

يقول آلان «Alan « المربي يعني أنه أتاح للطفل بناء انسانيته فعند الطفل ذلك الطموح في أن يصبح رجلا وينبغي ألا نخدعه «.

إن المهمة الملقاة على عاتق معلمينا، ليست بتمرين ذاكرة التلاميذ فقط بل يجب عليهم استدعاء فطنتهم فالمعرفة بالتلقين ليست معرفة انها حفظ ويجب ألا يطلب من الطفل أن ينظر الكلمات فيحفظها بل الى معنى الكلمات وفحواها ليستشهد من ذاكرته بل من حياته هي دعوة لمعلمينا للوقوف على أهمية الدور المناط اليهم....

قراءةٌ في (هجائياتٌ هادئة) للشَّاعر فايز خضور

•فائق موسى

في قراءة سَريعة لمجموعة الشَّاعر فايز خضور (هجائيات هادئة)، يَتلمَّس القارئ نقمة الشاعر على الواقع الذاتي والاجتماعيِّ والسِّياسيِّ والوَطنيِّ، فيوَجِّهُ لومَه وتقريعَه للعرب العاربة والمستعربة، بكل طوائفهم وانتماءاتهم العشائريَّة والقبليَّة، وما يحملونَه مِنْ قيم وعادات بدويَّة غلبَ عليها طابعُ الرَّعويَّة والبداوة، وانتقلوا مِنْ عيش ضَنك إلى رَفاهيَّة مُزيفة جاءَ بها النفط والغاز. وتخلَّوا عنْ بعض ما كانوا يُفاخرون به مِنْ كرم وخلق وشهامة وبقيتْ شجاعتُهم التي تمثلتْ في عقليَّة القتل والظلم. وتخاذلوا عنْ نجدة فلسطين وقضايا الأمَّة. النصوصُ في مجملها هجاءٌ وتقريعٌ لمدَّعي العُروبة والأخلاق، ولئنْ سمَّاها الشاعرُ هجائيات هادئة، فهيَ ليستْ هادئة إلى هذا الحدِّ، فنصُّ (حَمدوش) نموذجٌ صَريحٌ لهجاءٍ صَاخب، إذْ يقول:

ألأمُ مِنْ ذئب في عاصفة ثلجيَّة
هذا الأعرابيُّ الطالعُ مِنْ جوف الصَّحراء
هذا الجمل المتعطش للألفة والآلاف
يتلظى بجحيم الزَّيت الغازيِّ

ويَتمادى الشَّاعرُ في الهجاء مُصوِّراً ذلكَ الأعرابيَّ كيفَ ينفذُ رغبات سيِّده الغربيِّ ويَشبعُ غريزةَ الوَحش عندَه.. إلى أنْ يَصل في الوَصف لقوله:

يا أصْبعَ الأشلاء الجيفيَّة! فكلمةُ الجيفيَّة دلالةٌ واضحةٌ على ما يَكسبُه ذلكَ الأعرابيُّ الذَّليلُ مِنْ سيِّده الغربيِّ، وهيَ صورةٌ قبيحةٌ أشدُّ القُبح.

وفي هذا النَّص نلمحُ تأثرَّاً أو اقتفاءً نهجَ الهجاء المُقذع، بأسلوب الشاعر العراقيِّ مُظفَّر النَّوَّاب في هجائياته، إضافة إلى تأثره ببعض صيغه اللُّغويَّة وجمله كقوله:

يا هَذا البَدويُّ المُستنسخُ مِنْ قبح الأوصافْ!

ويتمادى الشاعرُ في هجائه، فلا يفوته أنْ يهجوَ بعض تاريخ أمَّته وربَّما يعودُ موقفُه هذا إلى موقف أيديولوجيٍّ مُحدَّد، مُستخدماً رمزيَّة الأحداث المؤلمة وقيم المجتمع وطريقته في العيش، بدءاً بعبادة الأوثان التي صَنعوها مِنَ التمر، يقول:

إلهٌ مِنَ التَّمر
يرفعُه العابدونَ بترحالهم فوقَ بحر الرِّمال.

ومروراً بالحروب القبليَّة وقتال أبناء العمومة، في حكاية حرب البَسُوس:

جسَّاسٌ راوغَ خصمَه بالفرِّ
ثمَّ أتاهُ غدراً مِنْ قفاهُ.

مشيراً إلى غدر جسَّاس بصهره كليب، مُعمِّماً صفة الغدر.

فالتَّاريخُ عندَ الشَّاعر حاملُ تُراثيٌّ. جعلَه مَطيَّة لأفكاره المعاصرة، والتَّاريخُ يُعيدُ نفسَه في شكل وأسلوب جديد، مِنْ حضارة العصر التي سخَّروها لتلبية غرائزهم.

هجائياتُه أيضاً لم تقصِّر عنْ نقد تلكَ العادات البدويَّة في زواج الرَّجُل المُسنِّ بفتاة تَصغرُه بأعوامَ تصل إلى عقود، ففي قَصيدة (مفارَقة) يقول:

يسبقُها بخمْسة وأربعينَ مَوسماً
فكيفَ ترتضيهِ عاشقاً وعابداً

يشيِّدُ عندَ مفرقِ النُّجوم مَنزلهْ!
عصفورةٌ
تقيل في أفيائه، مفتونةً، فتَّانة،
يطعمُها الغناءَ والعويلَ، كلَّ ليلة
ومِنْ دموع جرحه يبلُ ريقَها
فترتوي ولا تروم هجرَه ومقتلَه!

هُنا يفضحُ الشاعر كيف تباعُ الفتاةُ لرجلٍ مسنٍّ غنيٍّ يسكنُها قصراً عالياً، لكنَّه ليسَ أكثرَ مِنْ مَزبلة. في أسلوب أقربَ إلى المُباشرة في عرض الفكرة.

النُّصوصُ في مجملها تغرقُ في الحداثة، حداثة اللُّغة الشعريَّة والصُّورة واستخدام الرَّمز الغامض، اقتفاءً لنهج الشَّاعر أدونيس في الصِّياغة الشعريَّة المُوغلة في الغموض، ممَّا يترك للمتلقي مجالاً واسعاً ومتعدِّد الاتِّجاهات في التَّأويل والبحث عنْ خيوط الرَّمز للوصول إلى ما يُريدُ أو ما لا يُريدُ الشاعر. ففي نصِّ (إحتمال) وهوَ عنوانٌ يُوحي بتلكَ المتاهة التي يتركنا فيها الشاعرُ، يقول:

رُبَّما يُولدُ البَغلُ في السَّيرك..
مِنْ لبوة أوْ أتانْ!
رُبَّما تدَّعي قردةٌ
أنَّها أرضعتْه زماناً مديداً
وَرَشتْ على خصيتيه ذرورَ الحَنانْ!

وعلى نهج الرُّومانسيين يطوِّع الشَّاعرُ عناصرَ الطبيعة للغته فيستخدمُها في صيغ شعريَّة رمزيَّة أيضاً، حينَ يقولُ في نصِّ (الثريا):

هيَ أنجمٌ سبعٌ شقيقاتٌ
يُضئنَ مَغاورَ العشاقِ
ينثرنَ الشقاوةَ والمَسرَّة.

إضافة إلى أنَّ الشاعرَ يرمزُ للمرأة بنجمة، فهوَ يضمِّنُ فكرةَ تأثير النُّجوم على حياة النَّاس في مصيرهم مِنْ نحس أو سعد، وكذلكَ حالُ المرأة بالنِّسبة للرَّجل، فهيَ مصدرُ شقاء أوْ سعادة.

لعناصر الطَّبيعة مِنْ نجوم ورياح وأنهار وطحالبَ وثلوج مكانتُها في لغة الشَّاعر وصُوَره، كقوله (جسدٌ حافلٌ بالنُّجوم) حينَ يتحدَّث عنَ الشامات، وفي قصيدة (رياح) يُمعنُ الشَّاعرُ في وصف الرِّياح مُعدِّداً أنواعَها وأسماءَها، (الشَّمال والجنوبُ والصَّبا والدَّبور) وصورةُ (طحلبُ الزَّيف) و(زمنٌ مثل بطيخة). (زبدةٌ في رغيف المُروج) (قهقهاتُ السَّراب). في نصِّ (المهزومون) صورةٌ ساخرةٌ لحدِّ الألم يرسمُها الشاعرُ للعرب الذين يمارسونَ ألوانَ الشذوذ. لا يهمُّهم رؤيةُ النُّور، بل يختارونَ الليلَ المُظلمَ شديدَ الظلمة لممارسة شذوذهم الجنسيِّ، وينتهونَ أخيراً إلى التَّماهي معَ الحالة الشَّاذة في الحياة، وانقضاء حالة اللذة التي سَعوا إليها، يقول:

سُكارى، يجيؤونَ في غطش الَّليل
لا يحفلون بضوءِ القمرْ..!!
عَرايا، ولا يَحتفون بأبعاضهم،
إذْ ينامونَ مثلَ البَهائم:
وَجهاً لظهر
ورأساً لفَخذْ
وَبطناً لبطنْ...
يتوهُ المُكلفُ بالرَّصد:
هل ترتمي ها هنالكَ
في طيَّة الحضن ((أنثى))
وهلْ فوقَ رابيةِ الرِّدف يَغفو ((ذكرْ))؟!

مُنتهياً إلى قوله:

عَرايا، تماهتْ سَراويلُهم في الظَّلام
فضجُّوا، ولجُّوا
إذا فارقَ الخدرُ الكيميائيُّ ضَعفَ مفاصلهمْ،
كلَّما جَهجَهَ الفجرُ وَقتَ السَّحرْ..!!

ولمْ يتوانَ الشَّاعرُ في هجائه عنْ تجاوز الخطوط الحمر في تناول المحرَّمات في السِّياسة والجنس والدِّين، في مُقاربات فكريَّة خاصَّة بالشَّاعر، ففي قصيدة بعنوان (1932) يقول:

سَبعٌ وسَبعون انطوَّت مِنْ قامة التَّأسيس،
أو مِنْ دفتر الويلات...
والمتفرنجون الزِّحفطونيون، كلبانون،
ما بينَ المدائن والمحافل، يلهثونَ
لحسم ((ترسيم الحدود!))
إلى أنْ يصل الشَّاعر لقوله:

يا عصبةَ التَّزوير، والقتلَ المُموَّه ((بالفضيلة))
عارُكمْ شرفٌ لكمْ،
وعقالُكم رَسنٌ يقودُ زمامَكمْ،
صَوبَ البَراري والنُّجودْ....
لا تقطعوا عَهْداً،
على النَّصر المبين
تعفنَّت في كَهف قَاطعها العُهُودْ..!!

وفي فلسفة المَوت يُدلي الشاعر بدلوه في هذا الموقف حينَ يقولُ في نصِّ (جبَّار):

هيَ الحياة ((حالة الوجود))
في حَراكها، ورعدها، وبرقها.
والموتُ ((حالة الوجود))
في جمادها المُقيم..!!

ففي نظرة وجودية للحياة يُساوي الشَّاعرُ بينَ الموت والحياة، شأنُهما في ذلكَ شأنُ الإخصاب والعُقم، إلى أنْ يقول:

وعودةِ الأرواح للأجساد
شطحةٌ كذوبةُ الرُّؤى،
يزينُها مُشعوذُ الغُيوب:
ثاوياً، في جعبة الدَّجَّال،
والبهيم، والفهيم، والرَّجيمْ..!!
هي الحياة، مَرَّة واحدة،
تُبارك المخلوقَ في عبورها
وتمنحُ النَّعيم والجحيمْ..!!

وهُنا تظهرُ النَّظرة الوُجوديَّة لدى الشَّاعر، فهوَ يُنكرُ البعثَ والحسابَ، والحياةَ عندَه مرَّةٌ واحدةٌ لا تتكرر، وفيها الثَّوابُ والعقابُ.. ومثل هذا اللَّون مِنَ الشعر نلمح المُباشرة في تناول الفكرة، بما يُبعدُ الشَّاعرَ عنِ الشَّاعريَّة، إلى السُّقوط في المُباشرة والنَّظم الخالي مِنَ المشاعر العاطفيَّة والوُجدانيَّة.

القراءة السَّريعة لنُصوص الشاعر لا تسمحُ للمتلقِّي بالغوص في أعماق اللُّغة والفكرة، إضافة إلى أنَّ الشَّاعرَ يحاولُ التَّجديدَ في اللُّغة مِنْ خلال اشتقاقات لُغويَّة غريبة كالنحت في (الرَّكمجة) و(الكَجمَجة) فالرَّكمجةُ يقصدُ بها ركوبَ الموج، أمَّا الكجمجة فهي كلمة تبدو مِنَ العامية ويقصدُ بها المُداعبة. ولو تناولْنا النَّسقَ الشعريَّ في هذه المجموعة نلاحظ أنَّ الشَّاعرَ يَمتطي أوزانَ الشعرَ العربيِّ ببحوره المُختلفة، على نهج القصيدة الحديثة (التَّفعيلة) مِنْ غير التِّزام بتوزيع التَّفعيلاتِ في السَّطر الشعريِّ، وكأنَّ الشَّاعرَ يريدُ أنْ يصنعَ الموسيقى مُتجاوزاً حدودَ التَّفعيلات المعروفة، وهناكَ طغيانٌ للمُوسيقى في معظم النُّصوص،.كما ينوِّعُ الشَّاعرُ في قوافيه بطريقة مُحكمة في معظم الأحيان، لكنَّه أحياناً يقسرُ القافيةَ بطريقة يجعلُها مفتعلة لا تخدمُ سوى الإيقاع، ونصوصُ الشاعر مَلأى بالصُّور الشعريَّة المُركبة والكليَّة، ومِنْ أمثلة ذلكَ قولُه في نصِّ (نقائض):

كلما اكتملَ البدرُ
في غُرَّة الكون
تسري ضواري الذئابْ....
وتفورُ الدِّماءُ الحبيسةُ في داكن الأوردةْ....!!

فهذه الصُّورة فيها البَصري والحركي واللوني معاً إضافة إلى الرَّمز،والمضامين المعاصرة، ويهتمُّ الشَّاعرُ بالشكل الهندسيِّ للقصيدة مِنْ خلال توزيع التَّفعيلات، فتبدو القصيدةُ مُقاربةً أحياناً للشكل القديم للبيت الشعريِّ ذي الشطرين، ويَغلبُ على الأسطر الشعريَّة التَّساوي والطول، فالنَّفسُ الشعريُّ عندَ الشَّاعر يغلبُ عليه الهدوءُ والتأمُّل، ولربَّما كانَ ذلكَ سبباً في تسمية المجموعة، والدَّفقاتُ الشعوريَّة بطيئة، كما أنَّه يوظِّفُ علامات التَّرقيم بطريقة فعَّالة مِنْ أجل إحداث حركة وإثارة في الصِّياغة، فالنُّقاطُ المتتاليةُ، وعلاماتُ التَّعجُّب والاستفهام والفواصلُ ووضعُ بعض الكلمات ضمنَ قوسين مُتتالين، كلُّها وُضعتْ بطريقة مَقصودة أرادَ منها الشَّاعرُ أنْ يُثيرَ ذهنَ القارئ للبَحث والتَّفكير فيما أرادَه الشاعرُ وما تركه مِنْ رموز وإبهام، كما نلحظ طولَ الجملة الشعريَّة عندَ الشَّاعر. وعلى الرُّغم مِنْ ضعفَ الغنائيةَ عندَ الشَّاعر فالشَّاعرُ مُتمكِّنٌ مِنْ صُنع القَصيدةَ الحديثة، ليكونَ علماً مِنْ أعلامها المميَّزينَ في هذا العَصر.

رحيل الكاتب عوض الأحمد

نعى اتحاد الكتاب العرب رحيل الكاتب عوض الأحمد عضو اتحاد الكتّاب العرب.

من مواليد مدينة القنيطرة 1956.

يحمل إجازة في اللغة الفرنسية.

من مؤلفاته:

- كيف نروي الحكايات لأطفالنا
- أساطير وحكايا من أرمينيا

رئيس اتحاد الكتاب العرب وأعضاء المكتب التنفيذي وأسرة تحرير الأسبوع الأدبي يتقدمون بأحر التعازي والمواساة من أسرة الفقيد عوض الأحمد. راجين الله عز وجل أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته وأن يلهم أهله الصبر والسلوان.

وإنّا لله وإنّا إليه راجعون

تعزية

فجع الزميل الدكتور غسان غنيم بوفاة شقيقته.

رئيس اتحاد الكتّاب العرب وأعضاء المكتب التنفيذي والمجلس والاتحاد يتقدمون إليه بخالص العزاء والمواساة.. راجين الله عز وجل أن يتغمد الفقيدة بواسع رحمته ويسكنها الجنة، ويلهم أهلها وذويها الصبر والسلوان.

وإنّا لله وإنّا إليه راجعون

تعزية

فجعت الزميلة مناة الخير بوفاة زوجها.

رئيس اتحاد الكتّاب العرب وأعضاء المكتب التنفيذي والمجلس والاتحاد يتقدمون إليها بخالص العزاء والمواساة.. راجين الله عز وجل أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ويسكنه الجنة، ويلهم أهله وذويه الصبر والسلوان.

وإنّا لله وإنّا إليه راجعون

كوكب الشرق أم كلثوم
٤ أيار/١٩٠٤ - ٣ شباط/ ١٩٧٥

•محمد مخلص حمشو

أم كلثوم سيدة الغناء العربي في عموم الوطن العربي بلا منازع في القرن العشرين وقد لقبت بكوكب الشرق الذي لا يغيب، هذه المطربة العظيمة صاحبة الحنجرة الذهبية، والتي ما زال صوتها الأسطوري يشغل الباحثين بما يخفي وراءه من معاني الكلمات الرقيقة، والأشعار الرائعة في أغانيها العاطفية حيث لغة الحب والمحبين.. شخصية شغلت العالم العربي كله في حياتها أكثر من انشغاله بحكامه.. فهي بفنها وأغانيها تعبر عن مرحلة هامة في تاريخ الثقافة العربية، إننا نتذكر عند سماع أغانيها الوطنية الوحدة العربية التي ضاعت. وكم نشعر أننا في حاجة إليها الآن وفي هذه المرحلة العصيبة بالذات من تاريخ العرب.

هذه الفنانة العملاقة التي استطاعت لوحدها أن تجمع العرب من المحيط إلي الخليج من خلال حفلاتها فقط، وكما أضحى الغناء بصوتها رمزا للعروبة وفرعا هاما من فروع القومية العربية. فقد استطاعت توحيد الوجدان العربي من خلال تعبيرها عن المشاعر العربية الأصيلة كلاما ونغما وأداء.. لقد غنت لمجد العرب ولرفعتهم وأنشدت ما اهتزت له مشاعر العرب شرقا وغربا على مدى عشرات السنين.. حتى قيل فيها أنه لم يجتمع العرب على شيء مثلما اجتمعوا فى صوت أم كلثوم. نصف قرن من العطاء المتواصل والنجاح الباهر بصوتها الجميل وأدائها الرائع وتعبيرها الأخاذ وبأحب ما تغنى به الناس من كلمات وألحان... إنها رحلة مليئة بالكفاح والإصرار على التفوق حتى آخر العمر، وفى وسط الحروب والصراعات. فلاحة بسيطة قدمت القاهرة من إحدى قرى محافظة الدقهلية. وبدأت الغناء وهى في الثالثة عشرة من عمرها 1917 مع فرقة أبيها كمنشدة للتواشيح الدينية و القصائد تغني للعامة البسطاء، متجولة معه في القرى والأرياف وغالبا ما كانت رحلاتها سيرا على الأقدام، وكانت ترتدي الزى العربي متشحة بعقال على رأسها. إلى أن وصلت القاهرة.. وبدأ يسطع نجمها ودخلت في منافسة حتى مع أشهر مطربات ذلك الوقت مثل نعيمة المصرية، منيرة المهدية، فاطمة سرى و فتحية أحمد.. وتفوقت عليهن جميعا وغنت لكبار الملحنين من القصبجى إلى زكريا والسنباطى ومحمد عبد الوهاب وبليغ حمدي وكانت في اختيارها للراقي من الكلمات وتفضيلها لشعراء العربية الفصحى بحيث لم تكن تقبل إلا شعر كبار الشعراء قديمهم وحديثهم فكانت كلمات أغانيها من تأليف شعراء مثل أحمد رامى وأحمد شوقى.. وأبي فراس الحمداني. و.. و. والى جانب عظمة صوتها كانت أم كلثوم تتأنى كثيرا في اختيار ما تغنيه وتهتم دائماً بالبحث عن نصوص جديدة لأغانيها، فقرأت كل ما عهد به إليها الشعراء، وكانت كثيراً ما تطلب بعض التعديلات على النص الذي يعجبها لأغراض تتعلق بالمضمون الجمالي أو الأداء الغنائي أو بذوق الجمهور. ثم كانت تعطي النص للملحن الذي تراه مناسباً للنص من وجهة نظرها.. ويذكر أن الإذاعة المصرية فى حفل افتتاحها دعت أم كلثوم للمشاركة لتغني بصوتها. وبدأت بإقامة حفلات شهرية لها وقد استمرت هذه الحفلات كتقليد منتظم لمدة 40 عاما حتى عام 1973، وفى تلك الحفلات كانت تقدم أغنياتها الجديدة والتي لاقت نجاحا منقطع النظير واستقطب الجمهور من جميع البلاد العربية. عرف عن أم كلثوم شخصيتها القوية واحترامها لنفسها ولفنها فاحترمها الملوك والزعماء كما احترمها عامة الشعب وأحبها الناس في كل مكان، وتفردت بمكانة عالية في الفن والمجتمع لم تصل إليها أية مطربة في الشرق...كما اشتهرت بحفاظها على الصورة المحترمة للفن وتطويعها للفن في خدمة قضايا أمتها العربية.. يذكر أن آخر ما غنته أم كلثوم من شعر الحب، قبل أن تودع هذه الفانية، أغنية من نظم أحمد رامي، فيها كل دلال أغانيها ورقتها وإشاراتها اللطيفة " ما خطرتش على بالك يوم تسأل عني."..

ومن الطريف أنه يحكى بعد نجاح ثورة 23 في مصر بقيادة عبد الناصر منعت أغاني كوكب الشرق التي يحبها الناس ويعشق فنها الملايين من البث في إذاعات مصر وحوربت إنتاجاتها الفنية، عندها استفسر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر عن سبب ذلك وقيل أنه باشر بنفسه التحقيق عن المسؤول عن ذلك. ولما حضر سأله الزعيم عن سبب المنع ومن اصدر أمر المنع هذا ؟ فرد عليه: مدعيا أن أم كلثوم هي من رموز النظام البائد "الملكية". عندها ضحك الزعيم جمال عبد الناصر وقال: فعليكم إذن أن تصدروا أمراً بإزالة أهرامات الجيزة؟ هنا اندهش الضابط ورد: مش ممكن مستحيل ولكن ليه يا ريس؟ قال عبد الناصر: لأن الأهرامات هي أيضا من بقايا نظام بائد لأربعة آلاف سنة؟! ورفع الحظر... كوكب الشرق أم كلثوم لم تكن امرأة جميلة بمفهوم فنانات هذا الزمان ولكن حضورها الفني عندما تصعد المسرح لتغني كان أكبر من ذلك بكثير إذ أنها كانت تستولي على القلوب والعقول بصوتها لا بعري الجسد وإثارة الغرائز. توفيت كوكب الشرق "أم كلثوم" في 3--2 1975 عن عمر يناهز 71 عاما وسار في تشييعها عشرات الآلاف فيما كانت الملايين تتابع تشييع جنازتها من خلال شاشات التلفزيون وهي باكية حزينة على رحيلها..

وبعد 38 سنة ما زلنا نسمعها ونطرب لسماعها ومازالت خالدة باقية في الوجدان إلي الآن متربعة علي عرش الأغنية العربية الطربية النظيفة. فعندما تريد أن تحمم أذناك من أدران سماع الأغاني الهابطة عليك أن تستمع لام كلثوم عندها سترتاح وتحس بمعني الحب والفن والطرب والكلمات الجميلة.. "الأطلال، ذكريات، يا ظالمني، أنت عمري، عودت عيني، نهج البردة، أراك عصي الدمع.. و..و..»

ومما يذكر أنه قد نشرت مؤخرا في مواقع التواصل الاجتماعي صوراً لتمثال كوكب الشرق أم كلثوم المقام بميدان الثورة في المنصورة وقد وضع مجهولون نقاباً عليه. ومن بين التعليقات على هذه الصور بموقع الـ«فيسبوك» «أم كلثوم ترتدي النقاب بعد موتها بثمانية وثلاثين عاماً»، والتعليق على ذلك: «يا ترى على فين يا مصر رايحه؟! وربنا يستر العرب لا يلحقوك ا.. الله يستر.

إبراهيم طوقان
الشاعر الذي مات وهو يردد: موطني موطني! -٢-

•د.حسن حميد

وحين تجلّى نبوغ إبراهيم طوقان الطفل في اللغة العربية، جاءه أبوه بأشهر أساتذة اللغة العربية في نابلس، واسمه أحمد البسطامي الذي حببه باللغة العربية حتى أولع بها، وكان في طفولته شديد الإنصات للتلاوات المتكررة لآيات القرآن الكريم في بيتهم، والتي كان يضبط مرات ومرات، وهو يجالس مذياع البيت الكبير، وقد وضع رأسه بين راحتيه مستغرقاً في الإنصات العميق، كما أنه حفظ مئات الأبيات من الشعر العربي الأمر الذي أذهل أهله وأستاذه أحمد البسطامي وهو في سنوات عمره الأولى.

وحين انتقل من المدرسة الرشيدية في نابلس بعدما حاز شهادتها، إلى مدرسة المطران في الكلية الإنكليزية في القدس، تفتحت مواهبه أكثر، وبارز أترابه وناف عليهم وذلك لأنه وجد من الثقافة والحرية ما لم يجده في المدرسة الرشيدية في نابلس، ووجد من العلوم ما جعله يحلق في عوالم الجغرافية والتاريخ واللغة والسياسة، ووجد من الأساتذة ما يمكن أن يطلق المرء عليهم لقب العلماء من دون حرج، لقد قضى في رحابة هذه المدرسة أربعة أعوام كان خلالها أسير العلم، وأسير أساتذته الذين فتّحوا ذهنه ووعيه على موضوعة القومية العربية، ومعاني الوطنية، وخصوصاً أستاذه نخلة زريق الذي جعل من دروس العربية، والشعر، والأدب دروساً في التاريخ والجغرافية والهوية الوطنية لأنه عدّ اللغة هوية تاريخية، وهوية جغرافية، وهوية وطنية.

وحين حاز شهادة الثانوية (المطرانية) في القدس، أرسلته الأسرة إلى الجامعة الأمريكية في بيروت فالتحق بها سنة 1923، وهو ابن ثمانية عشر عاماً، ومكث فيها ست سنوات دارساً للآداب حتى نال شهادتها في عام 1929م، وقد أثرت سنوات عيشه في بيروت، ودراسته في الجامعة الأمريكية كثيراً في حياته، وتكوين شخصيته الثقافية والوطنية، وكان لرصفائه في الجامعة، ولأصدقائه المثقفين والأدباء الذين تعرف إليهم في بيروت من خلال اجتماعات (دار الندوة) والنقاشات العاصفة التي كانت تدور فيها، كان لكل هذا أكبر الأثر في التكوين الصلد لشخصية إبراهيم طوقان وطنياً وشعرياً.

في بيروت، وفي الجامعة الأمريكية، عاش إبراهيم طوقان حياة ثالثة مختلفة عن الحياة الأولى التي عاشها في نابلس (في المدرسة الرشيدية)، وعن الحياة الثانية التي عاشها في القدس (في المدرسة المطرانية في الكلية الإنكليزية)، ذلك لأنه وجد مجتمعاً ثقافياً آخر في بيروت، وحياة اجتماعية من نوع لم يخبره قبلاً، إنها حياة بلا عبوس أو تجهم أو قيود أو وصايا، حياة منفتحة على الحرية التي تشق الدروب ليس على الأرض فقط بل داخل النفوس والأرواح معاً، في هذه الأثناء تعرف إلى عدد كبير من المثقفين والأدباء والدارسين والطلبة المتميزين، لكن ملازمته الشديدة كانت لصديقين ظلّ طوال حياته يلهج باسميهما هما: عمر فروخ، أستاذ التاريخ ذائع الصيت والشهرة، ووجيه البارودي الشاعر السوري المعروف، وكلاهما كانا دارسين في الجامعة الأمريكية أولهما يدرس علوم التاريخ، وثانيهما يدرس علوم الطب.

وقد تميز إبراهيم طوقان بين أقرانه آنذاك بالحس المرهف، والإنصات العميق، والصخب الشديد، والثقافة الراجحة، وقبوله على صداقة النساء قبول من عرف الدهشة والسحر والجمال والعاطفة والرقة واللطف عند المرأة، كما تميّز بالخيال المحلق الذي يقتطع الصور الحسية من عالم الغيوم، والطيور، والنبات، والماء، والألوان، واللطف بعيد المنال، وتميّز ثالثاً بالبصيرة النفّاذة إلى الماورائيات واستكناه المضمر والمحجوب والمستبطن طلباً للمكاشفة الباعثة على الصلادة والمكنة والحضور السامي.

بيروت كانت ثالث المدن العربية التي مست روح إبراهيم طوقان بجاذبيتها الساحرة، ولعلها هي المدينة التي أبدت له المرأة حيزاً مستقلاً، وكائناً متفرداً بعدما كان ينظر إلى المرأة وكأنها نبت من نباتات الطبيعة، وهذه النظرة هي التي وسمت بعض قصائده بالعذرية، لأنه رأى الطبيعة في المرأة، ورأى المرأة في الطبيعة، ولم ينظر إليها ككائن حسي إلا في المرحلة البيروتية لأن فورة الشعر تطلبت تأييداً ليس من الصحف والمجلات والأمسيات وأنشطة الجامعة الأمريكية فحسب، وإنما تطلبت تأييداً من المرأة بيت الجمال وعنوانه، ومن المرأة ساحرة الحياة في مرحلة الشباب الدفوق، ومن المرأة سيدة اللطف والأناقة والقيافة السلوكية، حدث ذلك حين تعرف إلى الجميلة ماريا صفوري التي ملكت عليه خطوه، وأنفاسه، وروحه، وشعره، وبوحه العلني.

لقد رأى في (ماريا صفوري) مرآة الحياة ودربها وخليجها الذي يهفو قلبه إليه، والجمال الذي شققه خياله، فهي امرأة عالية القوام، بديعة الهندام، مشرقة العينين، صباحية الابتسام، غريدة إن حكت، قاتلة إن باحت، مدينة تمشي على قدمين؛ مدينة لها بوابتها ومفتاحها وأسوارها، امرأة زينة لها وجه وردي ندي على الدوام! لكم عذّبته في العتبات الأولى من رحلة الحب، ولكم أدمت قلبه، ولكم ساهرته طيفاً عصياً على الدنو، لكنها، وحين رأته في صورته الحقيقية، أعني في نبوغه، وشعره، وسلوكه، وحبه الوحشي لها، قاربته واستمعت إليه إلى أن أنست إليه بعد طول حذر وحرص وشرود وخوف، فبدت له مثل طير لا يدري متى ستفرّ من بين يديه! وحين فاتحها بالزواج جوبه بروافض لا يدّ له فيها مثلما لا يد لها فيها أيضاً، فالديانة والطبقة والتربية الاجتماعية حالت بينهما فلم يصل أحدهما إلى الآخر، ولم يصلا معاً إلى الغاية المهدوفة (الزواج)، لكن كل هذا لم يقطع حبال العلاقة التي نسجها قلبان أحدهما يدق لأجل الآخر فقط، قلبان لم ينقش عليهما سوى اسمين، ماريا وإبراهيم، وحين تزوجت ماريا كان إبراهيم يطير إليها حيث هي سكناها، ليس لشيء سوى أن يراها خفية عن الناس وعنها، ولم تكن تدري ماريا أن إبراهيم جاءها مرات ومرات، ومن دون أن يخبرها، لكي يراها، ولكم ذهل، في إحدى المرات، حين رآها حاملاً تمشي في السوق مثل أوزة شديدة البياض، شديدة الرفعة، موزونة الخطو، كاد، وهو يماشيها عن بعد، أن يصطدم بها، لأن مغناطيسية الروح جذبته نحوها، إلى خطوها تماماً فكاد أحدهما يعثر بالثاني لولا الحياء العفيف! ولم تعرفه أيضاً.

لقد ظلت ماريا صفوري المرأة الوحيدة التي بنت عشها داخل صدره، وداخل قصيدته، وهي التي جعلته يعرف عالم المرأة معرفة الأرض للمطر شوقاً، ومعرفة الأنهار للقرى مؤانسة، ومعرفة الليالي للقناديل جهراً بالسهر. ولهذا ليست من قصيدة غزلية في ديوان إبراهيم طوقان إلا وروح ماريا صفوري تجول فيها جولان الخضرة في الغابات العوابي.

وما من حضوري أنثوي في قصائده إلا بسبب حضور ماريا صفوري المتكاثر كأضواء الفجر في ثنايا روحه، هي من كان سبب قصيده الأنثوي، وإليها تنتسب روح العذرية والرومانسية التي تلف قصيده الغزلي طراً.

Hasanhamid55@yahoo.com

على شفير الوجود بين الجدّ واللعب ـ القراءة أنثى في عالم مذكّر
إضاءة على ومضات الشاعر مازن الخطيب

•د. وضحى يونس

يجدّف عكس التيار، ويتطرف في مروقه الشعري، حتى يغرق في اختلافه، وحين يصل إلى القاع يهدأ، ويستقر بسلام مع إسفنج البحر، وبقية الكائنات الغريبة الجميلة لأنها لا تمتُّ بصلة إلى البشر الذين وصفهم أكثر من مرة في نصوصه بأنهم (كائنات مشبوهة) يكاد يطير إلى سماء الشعر إذا صوّتَ أحدُهم، فإذا كان لابُدّ من عودته إلى عالمنا فإنّه يدخل من نوافذَ غريبة، وأبواب سرّية، ويَقف بنا على عتبات ثلاث غير مألوفة؛ ضيّقة كالأوانيّ المستطرقة في أيقونة الطريف والنادر؛ فالعتبة الأولى هي مجموعته (أُعلّق على اللوحة حائطي)، والعتبةُ الثانية هي مجموعته (لست المكان المفضّل ليجلسَ على رأسي المقعدُ)، والعتبةُ الثالثة هي مجموعته (الرّهان مَنْ يصلُ ثالثاً) أمّا العلاقةُ بين هذه العتبات الخارجية وبيوتها الداخلية فعلاقةٌ خفيّة لا تُساعد على إيضاحها العلاقة بين العنوان الخارجي لأي مجموعة ومَتنها الداخلي لأنّ المتن يجري دون عناوين فرعيّة رُغم وجود اختلاف بين مقطع وآخرَ في الموضوع، والشكل، وما بينهما من تفاصيل.

وعلى النقيض من أجداده الذين تنافسوا على تعليق قصائدهم على أستار الكعبة فهو لا ينوي تعليق لوحاته اللغوية على أي جدار بل ينوي أن يثأرَ للجدار بتعليقه على اللوحة؛ وفي انتظار (الرّهان من يصل ثالثاً) __ وقد لا يصل __ سيجلس على المقعد رافضاً كلّ أنواع العروش على رأسه لأنه (ليس المكان المفضّل ليجلس على رأسه المقعد) قُبالة الإشارات الحمراء يُحصيها، ويندبُها، ويتنطّح لحلّ مشكلاتها مع أخواتها من الإشارات الخضر بامتلاء معرفيّ، وجماليّة شعريّة.

بين الجدّ واللعب

إنّ قراءةً منصفةً للمجموعات الثلاث ترصد أقصى درجات الجدّية في تناول واقع ميت في وعي الشاعر؛ واقع يحتمل ما لا ينتهي من العزاء، والرّثاء؛ ما يجعله يجابه الاستلابَ، والتغريبَ، بكثير من الجنون، وفوضى المشاعر، والطرافة، والكشف، والاحتراق بوهج الكلمات في محاولة منه لتقديم توصيف للعالم الواقعي الذي يتجاوز جنونُه جنونَ الشاعر، وغرابة أحاسيسه ف (الميت طرّي) و(السجائر من تراب) و(الخيال مطرقة) ومثل ذلك كثير في تجربة شعرية وافرة الوعي الجمالي الحداثي الذي يتجسد من خلال فهم خاص للشّعر، وتقدير للفكر، والنفس، والحسّ في عالم الإنسان البائس حيث تضطلع اللغة المشحونة بأثقل المحمولات الموضوعية بمهمة جسيمة هي الجمع بين أقصى درجات العبثية المفروضة واقعيًا، وأقصى درجات الجدّية المطلوبة فنيّاً لتنعكسَ الآليةُ تلقائيّاً نتيجة التداخل الحادّ بين الحالتين المتناقضتين في وجدان الشاعر بالتزام أخلاقي لا يترك مجالاً لانفصالهما: (لا أملك أبعد من أنفي/ اطمئني حدودي العماء)، ويكتمل العبث بتهكّم مرير لا يقف عند حدّ ممعناً في النقد، والصيد العكر في المياه الصافية يقول في أحد النصوص: (كوميديا سوداء / لم يستطع الانتظار / قدّم ساعته / قدم انتباهه / قدّم برامج التلفزيون / ليتابع دواليب الحظ.)

وفي نصٍّ آخر: (كادَ يكونُ كوناً / فاستيقظَ على حمار / ينقصهُ الاتّجاهُ)؛ ليدفعهُ التهكّمُ للقلق حتى يتجاوز مرتبةَ الإنسان القَلِقْ، ويتجاوز ارتكابَ فعل القَلَق إلى أنْ يُصبح مصدراً للقلق (كُنْ قلَقاً) ويبدو هذا بديهيّاً في ساحة نوع أدبيٍّ يَحتفي بالفكر الحيّ، وينتصرُ للذهن العامل، ويتوسّل الحدسَ الشفّاف في نقد التحجّر، والجمود (يرُبط العقلُ كأيّ دابة / يُعلفُ بعناية) ولأنّه يُعمل عقلَه باستمرار في حركة لا تهدأ يتوصّلُ إلى الكثير من الحِكَم، والرّؤى التي يُودعُها نصوصَ مجموعاته مثل قوله: (يتمدّد الصفرُ عندما نصلُ إلى حافته) و(ليس بعيداً أنْ تصيرَ الشّمسُ مافيا، وليس بعيداً أن يُحلّقَ قمرٌ على طريقة الكومندوس)..

ولذلك فإنّ اللغةَ تقفُ دوماً بين مستويين لا ثالثَ لهما؛ فالمستوى الأول: مستوى اللغة الشعبيّة اليوميّة المُعبّرَة عن الواقع المعاش، والمستوى الثاني: مستوى اللغة الثقافية ذات البعد الفلسفي المُدمج بالبُعد الفنيّ للشّعر، وهو بُعدٌ ساهم في صنع شخصيته المزدوجة: (أيّها المستوحدُ / كُنْ عميلَ ذاتكَ / ابتعدْ إلى ريح / تعيُد هيكلةَ انفعالك)ما أدّى إلى تمحورَ النصوص على محورين متقابلين على صَعيدي المبنى والمعنى هما محور الضعف، ومحور القوة؛ فعلى محور الضعف تقعُ نصوصٌ مثل (أنا كورد وناي) يُخاطبُ فيها زوجتَه مُعلناً طفولتَه، وفي هذا تكريسٌ لثقافةٍ ماضوية لا تخدمُ الحاضرَ ولا المستقبل، وعلى المحور ذاته يقعُنصُّه (كان من الأفضل ألّا تشتري الكوسا / ونحنُ في الطريق إلى الجنّة / القلّوف)؛ فالفنيّ لا يُبرّرُ بالموضوعيّ، والمبالغةُ في الشعبيّة، والبساطة لا تساعد على إيضاح الفرق بين (الرّيف / الجنة)، و(المدينة / النار) وهو المعنى الذي يريده.

المرأة والعالم المؤنث

على عادة الشعر والشعراء تجري النصوص في تقديس الأنوثة، وتبجيل المرأة، وتدورُ في فلك العاطفة الأسمى؛ عاطفة الحب؛ حيث يهمس لامرأته المحبوبة بـ (شال الأفق يتكئ على كتفيك)، و(جنيتي... لك كلّ قوامي) حيث جنيّتُه هي ملهمته الشعر، وملهمته الحياة أيضاً ما يوضّح مكانة المرأة الرمز في شعره، وطبيعتَها، وماهيتَها حيثُ المرأة هي الأم والآلهة القادرة على صنع المستحيل لأولادها، وأسرتها، والوجود بأسره يصفها في المقطع التالي: (امرأة تعجن من الصدفة / ألف احتمال / ومن القُبل تنّورَ احتراق / ومن الغيب طيرَ الحظّ / يحمل ديمومة الوضوح.) فهذه المرأة الرمز، والأسطورة هي أيضاً حالةٌ صوفيّة؛ ومن عالمها الصوفي تتوافد ألفاظ (التكوين)، و(التجلّي)، و(الإشراق)، و(جارالله)، و(الوله) الخ..

غيرَ أنّ جمال هذا الخطاب الشعري لا يبرّر الاستمرار في التقليد شكلاً ومضموناً فقد آن أوان التغيير، والتحوّل، وهدم الجدار، وتعليق اللوحة في العقل والقلب؛ فقداسة الجسد الإنساني بديهية ولا تحتاج إلى وصف أو إثبات بالبرهنة والاستدلال، وبات فقيراً الخطابُ المُكرّس للجنس كمن يفسّر الماء بالماء ويبرهن على الحياة بالحياة فموقفه من المرأة شأنه شأن جميع الشعراء لا يقدم أكثر من موقف ينبني على الرومانسية والرقة والحلم والاحتفاء بالجسد الأنثوي وتأثيره المضاعف مادياً ومعنوياً (نهد وحبّ وجنون شفتين وذكاء لأصابع وكي بالنار وذوبان.. الخ) ؛ ولكن ماذا بعد ؟ ولماذا يقفز الشعر السوري المعاصر مُمثّلاً بتجاربه الشابة المحدثة فوق الواقع غالباً ويشير إليه من بعيد إشارة الخائف المرتجف، ومتى يغدو الشعرُ واثقاً كالعلم ويبني كما تبني الهندسة، ويمنح القمحَ ساخناً للجياع، والقطن ثوباً للفقراء؟ وفي سياق محاولة الإجابة على مثل هذه الأسئلة يتولّد التأكيد على ضرورة تغيير الخطاب وتحميله رؤى أكثر واقعية.

توغل نصوص المجموعات في التكثيف؛ فتأخذ من اللفظ أقلّه ومن المعنى أكثره كما في المقطع التالي الذي تبدو فيه المرأة مُجنّحةً من صنع الخيال: (نصفها من نبات / ونصفها الآخر من بهاء) وفي نص آخر:

(نسيجُ ومضك / أشعلَ البرقَ / أرضُكِ صلبةٌ / تُضلّلُ التيه.)

فهي كيان مُركّب من مادّة وروح، تبدو بين المُكوّنين برزخاً كالذي بين الدنيا والآخرة، وذاك الذي بين الجنة والنار؛ أمّا الشعرُ فمتأرجحٌ على الخشبة مصلوبٌ بين الضفتين ما قَسَمَ لغتَه إلى نصفين نصفٌ مادّي مُجسّد ونصفٌ معنوي مُجرّد، ففي النصف المُجسد (قُبلٌ واضحة، وحصانٌ يعدو، وشفتان من قلق، وامرأةٌ تتدلّى من عناقيد لهفة.. الخ.)

وفي النصف المجرّد يكمنُ العشقُ الحلم في لغة تتحدُ ماهيتها مع ماهية الوجود بدرجة عالية: (شهوةُ الرّوح / تعالي نفكُّ أزرار الفراغ)، (هي اللذة / هو الأبد الخاص)، (كان يمضي دائماً حتى مضى تماماً)..

فالعشق هو الفراغ الوحيد الملّون في فراغ الهم الوجودي الأسود الكبير الفاغر فمَه لابتلاعنا جميعاً بمنتهى التوحش، أمّا اللغة فهي صديقته الحبيبة التي قلّ ما تخذله وكثُرَ ما تسندهُ ببلاغتها بلاغةً فكرته (كلانا وكلّ كلينا يربط عنقه بروحه) ليطمئنَ ويُكثر بعد ذلك من رمي الألفاظ الغريبة الثقيلة في بركتها الأليفة الساكنة

(خابة، باطرتها، هستريا، يبهق المكان، أيُّ أيٍّ حيثُكَ؟)

كان الشّعرُ في كثير من المواطن في العالم سلاحاً في الحرب، ومحراثاً في السلم، لذلك وحتى لا نظلمَ التجربةَ المازنية لا بُد من الاعتراف بأنّ اللغة وحدها هي التي أنقذتها من ضعف القصدية والغائية من كتابته ؛ فاللغةُ مثقلةٌ بمحمولاتها الاجتماعية،

والواقعية كالعلاقة بين الرجل والمرأة، ومسؤولية الإنسان في العالم، والمسؤولية تجاه الأطفال، والصدق، والأنانية، وعلاقة الإنسان بالطبيعة والبيئة بعيداً عن الدرامية، والغنائية وهذا يُسجّل له كخطوة يتوجّب على الشعر المعاصر أن يخطوها بجرأة طرحاً للأسئلة استجواباً للحاضر واستنطاقاً استشرافيّاً للمستقبل وربما في هذه المرحلة من التحولات العالمية لم يعد المطلوب من الشعر الاكتفاء بطرح الجنس المقدس فهذا الأخير اليوم هو حثالة التقدم العالمي نحو إثبات الذات، وبات من المحتم على شعراء العالم الثالث القيام بمهمة الشعر الحقيقية والتوقف عن الفرجة على ما في صندوقنا وصندوق الآخرين؛ وذلك تجنبًا لاعترافه الخطير في قوله: (نحن العاشقين / لا يعنينا المُتوقع / من الخراب / ولا من البناء / نحن نشرق.)

رموز وأساطير وصور

تتكئ النصوص على الرمز، ومن الرموز التي يوظفها (الفينقيين) للتعبير عن النزوع المعاصر للحضارة و(القرباط) بوصفهم شعباً مضطهداً متغرّباً عن وطنه و(نشيد الفراعنة) بوصفه إنشاداً دينيّاً، وغناء روحانياً عند قدماء المصريين، و(نشيد الإنشاد) في العهد القديم الذي يُوصف بأنّه سفرٌ جنسيّ في كتاب مقدس، و (يوسف الطليياني) الراعي رفيق الطيور والقطط الجائعة الذي يتقاسم معه الشاعر مازن حراسة النهار والبساطة، ولا تخلو النصوص من غرور الامتلاء المعرفي، واليقظة الوجودية: (خلقتُ في لحظة عجيبة / من ريح لا تعرفُ القرار/ إن يطلع الصبحُ بعيداً عني/ أحرْقه)؛ ومعَ كل العائدين من الحلم اللائذين باللغة يقف وحيداً مع المفاهيم عاشقاً للاختزال مطويّاً تحت جُنح الغموض؛ يكتبُ سهرَه ويتقي شرّ النوم واليقظة معاً: (زورقُ السّماء/ لم يعد يتسع لراكب آخر / كلّ الأمكنة تجاوزت الأبديّة)، (أقبض على فراغ / أيها الفراغ / أخفض قبعتي احتراما لك)، (الإنسان بين اليباس / وعود الثقاب مجرد رهان).

أمّا المصدر الرئيسي للصورة الفنية هو الطبيعة بكل ما فيها من مكوّنات إذ يحشد لها معجماً من ألفاظ النباتات (السنديان، والطيون، والخرنوب، والنرجس، والدفلى، والزعفران، والزوفا، والجرجير، والهندباء، والزيتونة، والعنب، والنعناع، والكرز، والقرفة، والصنوبر، وشجر الطرفاء... الخ)؛ ما يدعو للتساؤل هل الشعر المعاصر هو مجرد معرض نبات، وطير، وزهر يشكّل في نهاية الأمر محميّةً طبيعية ثم ألا تكفي مفردة، أو اثنتان،أو ثلاث منها أم أنّ الأمر تجميعي لا غير، ولكنّ الشاعر يمتلك أدوات التنبيه الذاتي الذي يجعله يستدرك هذا التعداد المتفرّق بخطاب شمولي على نحو قوله: (أيها البشري، هذا الكون أنت).

ورغم ما في هذا الخطاب الموجز من مباشرة أسلوبية يعود في محاولة أخرى للتخلّي عن الانتماء السابق، والتحجيم الواضح من شأن الرّيف الذي اعتدّ به مراراً، وتكراراً لأنّ الحضارةَ المعاصرةَ __ إذا كانت حقّاً موجودة __ فهي لم تعد تلك الحضارة الرمزية البريئة بل أصبحت حضارةً واقعيّة وفق المفهوم الذي يتطلّبه صحو المثقف العربي من سكراته: (لا يشبهني أحدٌ/ لا لستُ الطبيعةَ/ لستُ من شجر/ ولا من تراب /لا أشبه النهرَ ولا الزيتون /زيتي ينبئ بالطوفان / لستُ ليتَ أو لعلّ / ولستُ من المفروض أنْ/ أنا المصدرُ).

يمارس أشكالاً من الحرية الفنية، ومنها الجرأة على اللغة فهي العطاء الوحيد الذي يغدق عليه من عناقيد كرومها بغير حساب؛ ومثلما تسند امرأةٌ عاشقَها تسندُ البلاغةُ بلاغةَ أفكاره (كلانا وكلّ كلينا يربط عنقه بروحه) ليُكثر من رمي الألفاظ الغريبة الثقيلة في بركتها الأليفة الساكنة (خابة، وباطرتها، وهستريا، ويبهق المكان، وأيُّ أيٍّ حيثُك...الخ)؛ وهكذا تتفرّد نصوصُ المجموعات الثلاث بعيداً عن قيود الوزن والقافية مُشبعةً بحريتها، شبقةً بجنونها، متأبطة هذيانها العميق البعيد، مكتفيةً بالاختزال سواراً، والغرابة خاتماً، والدهشة نعمةً فنيّة باهظةً لا يدرك قيمتها إلّا المؤمنون.

من علّق الأقمار

•جابر أبو حسين

سمرٌ وموسيقا...
توهَّجتِ الكؤوسُ،
فدُرْ على العشّاقِ بالراحِ،
اسقهم،
فلعلَّهمْ- يا ربُّ-
إنْ شربوا رأوكَ
كوردة حمراءَ
تفترشُ السهولَ
على جبينِ الطاولَةْ.
هذا هو الكرمُ الذي فتَّشْتُ عنهُ هناكَ،
ردّتني الليالي خاويَ الكأس،
احتستْ جسدي الصبايا الغامضاتُ
على الورقْ،
سمرٌ وبحرٌ من عرقْ،
فأُضئْتُ وانزلقتْ ثلوجي
نحوَ سفحِ العمر،
سلَّمها السوادُ إلى البياضِ،
فأُشعلَتْ قمراً يصلّي للأفقْ.
ليلي، وأقماري،
وكأسي،
نشوتي...
هي صحوتي،
وهي الصَّبَا
أغرى الكؤوسَ،
صدى صبايا كنتُ قد عانقتهم في اللّه،
فانتشروا صباحاً
أيقظَ الغزلانَ
في لهف السهولِ الغافلةْ.
هي رقصةٌ للروحِ واشتعلَ الجسَدْ.
فعبرتُ في أنهارها
من أوّلِ الرعشاتِ،
حتّى آخرِ العرباتِ
في أقصى البلدْ.
منْ أيقظَ الطفلَ اليتيمَ
من النحيبِ إلى الهدايا
الحالماتِ بصمته؟
من علَّقَ الأقمارَ
كالحلماتِ، ترضعُ جوعَهُ
ليصيرَ حقلاً
ثمَّ شمساً
ثم فُسْتُقَةً يُقَمِّرها الشَّبَقْ؟!
ليلٌ بدائيٌّ
على شبّاكه حطَّ النزقْ
فتطايرَ الزغبُ الممشَّطُ بالحرارةِ
فوقَ أنقاضِ القلقْ.
هدهدْ كؤوسي
يا حبيبي،
فهي قد أمنَتْ شفاهكَ،
وهي قد ألفَتْ أناملكَ الشفيفةَ،
وهي قد تركتْ على خدّيكَ إصبَعَها
وغاصتْ في الجبالِ السائلةْ.
فشربتُ...
تسكنني السهولُ،
أمرُّ من قممِ الجبالِ
إلى البروقِ،
لأدخلَ النصفَ المنيرَ من البلادِ
ومن عيوني.
سيّجيني،
واحمليني يا بلادُ إلى البلادْ.
الثلجُ أتعبهُ الرمادْ
لنْ يفهمَ الثلجَ الجميلَ بداخلي
إلاّكَ،
وهجُك أدركَ الأمطارَ
تضحكُ في اغتسالي
من ثقوبِ الوهمِ،
فاحترقتْ ضلوعي.
أشعلي النارَ اللطيفةَ في خريفي
فوقَ هاماتِ الجبالِ،
ليسقطَ الليلُ...
اكتبيني،

تنبتُ الأزهارُ في درجِ الطفولةِ مرَّةً أخرى
وينفتحُ القميصُ
على السماءِ الكاملَةْ.

خرجت من لوثة المعنى

• مرشدة جاويش

خرجتْ من لوثة المعنى
عشتارُ
حين تحصرمَ الجرحُ
وثارَ على جوارحها السؤالْ
ليكونَ ذاك النفيُ اثباتاً
ووقعاً فوق خارطة الجسد
مع ألفِ آه واحتمالْ
نغمٌ على جفن النعاس
يحكُّ شهوةَ عاشقٍ
في ناي تموز
يراودهُ الخيال
يغرق في مياه البدء
في صفة الجمالْ
بلدي ودمع قصيدتي
وسراب أيامي
وفقه الأرض يشربه اليباس
ماكان آخيلٌ سوى
ماقد رماهُ الماءُ
فوق الماءْ
لم يشفعِ الوقتُ المعمّدُ بالسماء
لهيلينَ الحكايةِ أن تعودَ
فباريس على مرمى الصهيل
تصلُ الحكايةُ نجمها
وتؤسطر الآلام في سعف النخيل
وتفر من ثغر الأساطير المؤدلج ألفُ عاشقةٍ
لما هو آتْ
منذ انكسارِ الزنج في أرض السواد
وصرخةُ الوطنِ المقدس
بين أضلاعي سكاكينٌ
فلتحترقْ روما
ونرمي في الرماد المرَّ
فقه المحظياتْ
ينسابُ عريُ الغربة الرعناءِ
في بيداء روحي
جرحاً بكل فقار الظهر
يكسر قامتي
ويشدني نحو الدوار
ليكونَ ثديّ قصيدتي
لبناً وتفاحاً وغارْ
فهل شفعتْ بعاشقة التراب
ثقالةُ الجذبِ
لأُبعدَ عينَ جاليلو
عن الدوران
في وطنٍ يدورُ بداخلي
ماءَ ونارْ

حلب الكرامة

•صبحي سعيد قضيماتي

حلبُ الكرامة والمآثر والنجب
حلب العدالة والمآثر والأدب
هي للعروبة بيرق ونجومه
أسمى الشمائل في المناقب والرتب
آيات عزك للنجوم منارة
بحروف فخرٍ بالبراعة مكتسب
نلتِ العلا في النائبات مظفراً
وطريق سعدك بالمروءة ملتهب
الليل أنت ظلام رعب هادرٍ
إن مس تربك غادر أو مغتصب
أنت الرعود على عدو غادر
جاءت به الأهواء ملعون الأرب
والصبح أنت بارق متألق
عبق الموارد للصديق المنتخب.
حلب الإباء ثراء أرضك واحة
هي للمكارم سدرة، وذرى العجب
فيض من الألحان يعزف حلمنا
من بحر روحك زاخر ذا منسكب
قطّرت حبك للبديع جداولا..
وسقيت طيبك للسنابل والرطب
صلّيت فجرا بالزمان منابراً
تدعو إلى عدل المبادئ والسحب.
تروي حقول الأرض غيثاً واعداً
كي تشرق الأيام عيداً بالطرب

يحملُني الشوق

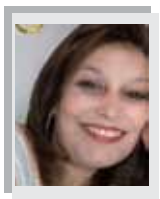

• صفاء فرحان الشمندي

يحملُني الشوقَ

يحملُني الشوقَ على كفِّ المساءِ
أُصفّقُ بصوتٍ رتيبٍ
من ترجيع الناي على الجروح..
في فمي
يقتلني مرير الآه المُخضّب
حين يبات الزفير في رئتي
ألفظ بقية الأنفاس في عروقي
يُخشخش القصب اليابس
بُعيد المغيب
ألملم زهور الليل المبللة بأهدابي
تتعلق ياقوتة الصوت
حيث أجراس الشمعدان
تَرِنُّ في العمق كي تبقى البسيطة
أُحصّن النفس في لهب الضياع
أستلف من داخلي شُعلة واحدة
تكفي لتُنيرَ الرحيل المُخلص
لأكثر من حياة!

ترتيلة الروح

و كأنما لا شيء في داخلي
غير تراتيل الله
في الروح
شعور لا يقال إلا من القلب
تخرج نبضة حب فتية
تعبث بعيون الورد
ما للفراشات ناعسة؟!
تشدُّ أهدابها الخُضر
مخدَّة ساعدي
تهمس بصوت الحرير
يرنّ هتّاف المدى
بأسلاك شَعري
أسمع الآه البعيدَ
كدبيب القريب
ألامس السماء
بجناحي.

كل الفصول امرأة

•مراد السوداني

إذاً فلتكوني خيالية مثل أرض الحكايات
كيما أكون إشارتك المبهمة
فيتّضح الليل إذ أشتهيك
وكوني خيالية
كي أكونك قوس قزح
وأحمل نرجستين قطفتهما من تلال سماوية
كي أعد لك الليل أشهى.. بكل الفرح
وكوني سماوية
إذ أراك.. ولا تتركي برزخاً بيننا
وفي كل صبح بهيج تعالي لنكمل هذا الحوار المؤجل
ضمي الفراشات، سيدتي
بكم ابتسامتك القمرية
وأكتب ما تحملين إذا لفك الليل، هذا المساء
بأحواله
وارفعي وردة الشعر أعلى من الصرخة الجارحة
وافتحي علناً نوافذك الحجرية
حتى يمر البهاء
وامسحي عرض الليل إذ تهبطين عليه بأجنحة
ليلكية
إذاً فلتكوني سماوية..
لأكون الفتى الواقعي
كوني شتائية
مبللة بالغمام، ومجلوة بالتوابل والصندل النيزكي
وحطي على كوكب الصدر مائدة للتسابيح
هذا الشتاء المعطر
يشتاق أن تحمليه كفخارة من لهب
وترميه ثانية في فضاء الغواية
يحتاجك الآن هذا الشتاء لكي ترفعيه
على قرن شهوتك الباذخة
فيا كل هذا الشتاء تجمّع
وسل بين نهدين قُبَّرتين من العاج
كوني شتائية
كي أكون لك المطر العسلي ببرهان مائي
وجمر شتائي،
وهذا الصهيل الذي يخدش، الآن، ماء النوايا
ويطفو ثقيلاً
فلتكوني ربيعيةً..
ولا تحملي وردة بين أغصان شعرك..
أو نجمةً
فأنت الحديقة كاملة تتهيأ للرقص والنشوة
الطافحة
مذ ليلة البارحة..
وقد سرت بي نحو جنتك السابعة،
وقلت: تشهّى سواحلي المرمرية يا عاشقي
فلتكوني ربيعيةً
كي أكون مضاءً
بأزهارك الجبلية، فيضاً من الأنهر الحالمة
يكبكب إيقاعه فوق مرمر خصرك
كوني خريفيةً
كي أكونك عرياً طليقاً
زهرة وحريقاً..
وكي تتعرّى الحدائق في ثوبك المخملي
ويلسع برد الهوى حلمتيك المجوسيتين
تدلي قليلاً كهذا النخيل المحارب
لتأتي الجبال، الكواكب، والأودية
تعرّي كرمانة شلحت كل أنهارها
ولتكوني خريفية
كي أكون هبوبك في رحلتي واشتعالات صمتك
وكوني مع الصيف ظلاً ظليلاً
ونبع الجبال الذي يتحدّر من قمة النهر
إلى ساحل النار
إلى أسفل الواد..
تعرّق سروٌ على جسد مشبع بالندى
تعرق قلب الفتى وهو ينظر شامة ضوء
على كتفيك
فكوني مع الصيف برد اليقين
سوار البنفسج.. مملكة للسهر
كي أكون المطر
وكل الفصول امرأة
فكوني خياليةً، كي أكونك..

قصّتي

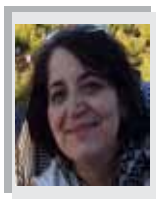

• مها هنيدي

وكأنّما لا شيء يشبه قصتي
فأنا الفرادة والعجيبة والنشاز
أنا الكناية والتشابيه العويصة والمجاز
أنا انبعاث قصيدة لا تنتمي لطقوس عبقر
أو لجرسك يا حجاز
××
كأنما
لا شيء يشبه صورتي
فأنا حواس لا تحس
فم أنا لا يحسن التقبيل
أنف لا يشم روائح الماضي
ولا عبق الغبار على الطريق
أنا عيون لا تنام ولا تفيق
أنامل ليست تَطال ولا تُطال
ولا تَمس ولا تُمس
أنا حواس لا تُحس
××
كأنما
لا شيء يشبه عبرتي
فأنا الحرائق ما لها نار ولا حتى دخان
وأنا البصائر لا ترى
آثار أقدام تسير القهقرى
لا سيف ظل لأشهره
في وجه ظُلاّمي وسُرّاقي
سوى
بعض التمائم والبخور
أنا التنابل أجمعين
تغفو على حلم القصور
وتلتجي للّه من قيظ المكان
أنا الحرائق ما لها نار ولا حتى دخان
وأنا التّموّت في الجذور
أنا الخمود بفوهة البركان
××
وأنا الطعام السهل
في طبق من ذهب انتظرت
لتأكلوني نيئة
سيلوك كل في الوليمة سيرتي
وسأنتظر
وستمضغون حُشاشتي، لحمي
الطري
وأنتظر
وستكسرون العظم مني ثم بعد
تغادرون وتشكرون
وأنتظر
نعم اشكروني كلكم
فلأنّ بي مسّاً بدوتم عاقلين
الأقوياء رأيتكم لما ضعفتُ
الأغنياء إذا فقرتُ
بدوتم الشعراء حين أخل بي شيطان
شعري
كنتم الحكماء حين بصيرتي حارت
بأمري
خفتي في كفة الميزان ما جعلتكم
في الكفة الأخرى ثقالا
فافهموا
لا شيء يشبه عبرتي
فالله لم يتخلّ عني صدفة
والحظ لم يظلمني إن حادت سهامه ثم
مال
فها أنا
إياكم أن تُشْبهوني
فاجعلوا من قصتي أمثولةً لصغاركم
وحكاية بكتابكم
ولتكسروني في مراياكم
ولا تتذكّروا
اسمي
وعنواني
وكل سلالتي
وامضوا مع المشوار دوني

خسارات

•سلطان مي

إلى من رفعت
غيمة الحبق الفوضوي فوق
البئر
ولمّعت أزرار قلب سال
على أرض سترتها وغابت
وتركت ما وراء المكان لنا
ولهدهد أصبح كاهناً فيما
بعد..
إلى من تركت وراءها ما ليس
لنا
وزجاجة عطرها
ورائحة عرق جمعته آلهة
الحياة
بعد هزة اللقاء فيها
وفي لفظة راحت حيالها
ولم تمتثل للسراب كالآهات
الأخريات الجديدات في
أسمائنا..

أنا ابن تشرين

•سلطان الزغلول

أنا ابنُ رفيف أجنحة
الغيوم على ضفاف الجبال
أنا سليلُ الكروم المتّكئة
على السفوح
صوتي صهيل الزيتون
في أعنّة الوديان
روحي امتزجت بخرير الغابات المغمورة بريح
تشرين الثاني
مُدوّخاً بروائح السنديان جئت ألاحِقُ
الدحنون في سقوف الغابات
أجمع حبّات البلوط..
أداعب الغيم
ممتزجاً بنشوة الأقحوان جئتُ على فرس
الترقّب أدْعكُ العشب ليطلع كانون..
وقفتُ بباب تشرين أسكب روحي في نقاء
الأزهار
أرفع شراعَ المحبة في جبال القلب
أسأل الغيمَ عن سلالة التين والرّمان
والزيتون في رفوف الوديان
أدفعُ رمح الأمل في حكايا التّراب
تدفعني الأرضُ جهةَ الغيم
أتقلّب..
أتذوّق التراب
أسأل البلوط مُتّكَأً
يستأذن الغيومَ..
ويحيطني بالأخضر العتيق..

ثمانية وثلاثون

• أكرم صالح الحسين

الرجل الذي فقد إمرأة وعزلة
كان يجلس خلف شاهدة قبره ويبكي!
المرأة التي داهمتها التجاعيد
كسرت كل المرايا
وجلست وحيدة تنتظر رجلا
يجلس خلف شاهدة قبره ويبكي!
لقد قلت لك أيها الصديق
لا تحزن؟
قلت لك إن الوطن لا تنقصه القبور
والارض لا تنقصها سنابل القمح، وأشجار الزيتون
لكنك تصر على البكاء
وأنا أصر على الرقص فوق جثتي،
أنظر الى جريدة ملونة
أتابع أخبار المدن،
أتأمل الوجوه الضاحكة وهي تردد الأكاذيب، والحروب
أحاول أن أعيد ذاكرة الرفوف الممتلئة بالكتب، وزجاجات
النبيذ الفارغة
أحاول أن أعيدك الى الحياة
أتلو عليك حكايات والدتي
التي رحلت وهي تحتفظ بصورتك
داخل جزدانها القماشي؟
أنت تفهمني تماما
تعرف قصة أرغفة الخبز؟
وعلبة سجائر الحمراء؟
وتتذكر كيف أطفأت السيجارة في باطن يدك عندما
سمعت أن السادات وقع اتفاقية الخذلان؟
وتركك تحتسي فلسطين، وتبكي
كطفل فقد أمه
بالأمس رحلت، بهدوء
تركت العالم وحيدا
ولكنك لم تنسى علم فلسطين
لقد أخذته معك وأنت تبتسم،
قلت لن أترك القدس وحيدة
ولن أترك دمشق وحيدة
(لن نتركك يا سوريا تضيعين كأغنية في صحراء)
لقد اتسعت الصحراء ياصديقي
جمعت كل شيء
المطارات، السفن، الكنائس، المساجد؟
أخذت أيضا أشجار النارنج، وجبل قاسيون
قتلت حسان بالوحدة؟
وجعلت منذر يتسول الحلم في طرقات المدينة وهو يحمل
مزمارا، والقليل من الخبز
سرقت الألوان من نزيه
أما الآنسة (س) فترعى سلاحفها الصغيرة
في مكان ما وتنتظر بعض الوقود
لتدفئ أصابعها الطرية
لتشعل الماضي وأساطيره اليومية
نذير متورط بالذكريات؟
يحاول أن يعيد الحياة للطرقات
وهيفاء نسيت عيد ميلادها في بلاد بعيدة؟
هل أخبرك المزيد!
عن خليل وعصام وجميل ومهدي وبندر وممدوح!!
سأخبرك عني
أنا فارغ تماما ياصديقي
أردد الأغاني، والأعاصير، والمدن
أحاول أن أصنع مراكبا من ورق
أتابع بجدية أخبار الجوع
أخبار الخيبات، والعملات
أمسح الغبار عن صورتك المعلقة في قلبي؟
أقرأ قصائدك أنا وصديقتي إيمان
التي تقول لو كنت في زمانه لعشقته أكثر من جميع
النساء؟
بالأمس رحلت ياصديقي
تاركا خلفك الكثير من الأحجيات
تركت خلفك أيضا
وعلا صغيرا يدور في الغابة ويبكي؟

العودة إلى السوق

•أحمد زياد محبك

جهاز تخطيط القلب إلى جواري، والطبيب يقرأ شريط التخطيط، الممرضة تغرز إبرة في ساعدي، عيناي شاخصتان إلى التلفزيون المعلّق عاليا في الجدار قبالتي، أتابع الشيخ وهو يتلو آيات من القرآن الكريم، أستغفر الله، يا رب، لن أعود إلى ما كنت عليه من قبل، أسألك السلامة كي أتعبدك ليل نهار، أحس أني فراشة أحلق في الفضاء، لا وزن لي، ولا أكاد أحس بشيء.

الممرضة إلى جواري، فقط أخذت نظرة واحدة من عينيها ومن شفتيها ومن صدرها، لكن لم أعد النظر إليها، نظرة واحدة، النظرة الأولى لي، لكن سامحني، يا رب، كانتَ نَظرة طويلة، أتوب إليك يا رب، ماذا أفعل، عيناها فتاكتان، فمها ينادي، صدرها يصرخ، وبعد خروجي من العملية، أعدك يا رب، لن آخذ رشوة من أحد، ولن أقبل هدية لا قبل أي معاملة ولا بعدها، سأنجز أي معاملة فورًا، لن أستغل أي مراجع بعد اليوم، وسأرحب به، وأضحك في وجهه، سأصبح مثل ذلك الموظف المسكين وحيد، لا يقبل رشوة، ولا هدية، اقترب من التقاعد وما جنى من الوظيفة غير المرض والفقر، يكفيني ما جنيته من الوظيفة في عشر سنوات، سوف أصبح قانعًا بالراتب، وسوف أقلع عن التدخين، حتى تلك الآلاف القليلة من الدولارات التي أتاجر بها، سوف أتوقف عن التعامل بها، سوف أقاطع صديقي رشيد، شريكي في تجارة الدولار، هو السبب، هو علمني التجارة الممنوعة، لن أغامر بعد اليوم، يكفيني ما جنيت، عندي شقة وسيارة وأربعة أولاد وما بلغت الأربعين، وحوالي مئة وخمسين ألف دولار، هي لحركة البيع والشراء، يكفيني، لا أريد أكثر، لن أجمع مال قارون.

وتدفع الممرضة النقالة، وأنا ممدَّد عليها، تجري بها في الممر، زوجتي تسير إلى جواري، أمسك يدها، ألثمها، أنظر إلى عينيها، يا إلهي كم هي حنون، كم هي جميلة، سامحيني، أنت والله الكل في الكل، أنت وحدك الحقيقة والباقيات خيال، أعدك، بعد خروجي بالسلامة، لن أتعرف على أحد من النساء، توبة، أنت وحدك، عرفت أنك أنت وحدك التي تقف إلى جانبي، أين سلمى ومنى وسوسن وأنطوانيت وعفراء وهبة وليليان وجورجيت، لا امرأة سواك بعد اليوم، عيونك هي العيون، أنت الكل، وحدك الكل في الكل، أنت وحدك الحقيقة، أرجوك، لا تخبري أحدا من إخوتي، ولا أصدقائي، لا أريد أن يشمتوا بي، المرض ليس عيبًا ولا شماتة، ولكن هكذا هو في مجتمعنا، ماذا أفعل؟

عند باب المصعد، أرى دمعتين في عينيها، هاتفي الجوال تركته في البيت، أقفلته، وغيرت رمزه السري، أخشى أن تتصل بي سوسن، لم أخبرها، وإن كانت تعرف أن عندي فتقًا في الحالب الأيمن وأني أتردد في إجراء العملية، كثيرًا ما شجعتني على إجرائها، قالت لي أنا آخذك إلى المشفى، تجريها صباحا، وتخرج إلى بيتي بعد ربع ساعة، وتمضي اليوم كله عندي، ولا تخبر أحدًا، هي التي أوحت لي بفكرة ألا أخبر أحدًا، في المصعد أنا وحدي، والممرضة معي، نحن وحدنا، إحساس غريب ينتابني، عبق جسمها يغمرني، وأنا أكاد أغيب عن الوجود، ثلاث مرايا حولي، أراها من كل الجهات، من وراء، ومن الجانبين، وهي أمامي، ليتني أستطيع مد يدي إلى أزرار المصعد لإيقافه.

ويهبط بي المصعد.

×

فتحت عيني، زوجتي بجواري، صوتها راعش، والدمعة تخنقها، تمسك يدي، تقبل جبيني وهي تقول:

- الحمد لله على السلامة.

آخذ يدها، ألثمها، أضعها تحت خدي، أنام عليها.

أي نوم هنيء عشته، صحوت فورًا، أريد النهوض، قوي أنا، سعيد، نشيط، عرفت، لقد خرجت من غرفة العمليات، أحس كأني حصان، أريد الخروج والركض، صديقي حامد بعد خروجه من غرفة العمليات أمضى بضع ساعات وهو في حالة من التعب والإرهاق وشبه الغيبوبة، لا يكاد يقدر على فتح عينيه، ما أجمل الحياة، أحس بالعالم رحبًا واسعًا، وأحس بنور وإشراق، حتى عندما أصحو من النوم لا أنهض إلا بعد أن أمضي بعض الوقت وأنا بين نوم ويقظة، لكنني الآن صاح، يقظ، أود النهوض، أهم بالنهوض.

يدخل صديقي رشيد، يقول لي:

- الحمد لله على السلامة.

لم أخبره، لم أخبر أحدًا، ما الذي جاء به، زوجتي أخبرته، هل بقي معها هنا في الغرفة، في حين كنت أنا في غرفة العمليات، هو ابن عم أمها، هي التي عرفتني عليه، وكان تقدم إلى خطبتها من قبل وهي في العشرين.

- متى جئت، ومن أخبرك؟

- الان وصلت، مع صحوك دخلت، سامحني تأخرت عليك، لماذا لم تخبرني؟

- زوجتي أخبرتك؟

- نعم، أخبرتني متأخرة، بعد دخولك إلى غرفة العمليات، تعرف أني أعز أصدقائك.

ألتفت إليها، وكأن شوكة تخزني في موضع الجرح، أقول:

- لماذا أخبرت رشيد؟ أوصيتك: لا تخبري أي أحد.

وتدخل الممرضة، تحمل كاس مغلي اليانسون، رائحته أحبها، أحس فيه الحلاوة. تناولني الكأس، وهي تقول:

- الحمد لله على سلامتك، تفضل اشرب، هذا مهدئ، ويخفف من الإحساس بالألم.

أتناوله من يدها ببطء، وأنا أحاول لمس أناملها، وأرشف الأحمر المتألق في شفتيها المكتنزتين، وأكاد أدخل بين نهديها الممتلئين، وأتنسم شذى اليانسون ممزوجًا بعبق جسدها الفاغم.

- اشكرك، دخولك أنساني الألم، وأريد العودة إلى البيت.

- ستخرج، عمليتك بسيطة، فتق أربي، جرحك عشرة سنتيمتر، العملية ما أخذت غير ربع ساعة، كنت أنا إلى جوارك، جرحك ما نزف غير القليل العادي، ستخرج، بعد مرور الطبيب ليطمئن عليك.

- أشكرك، صدقيني أحس بنشوة، ما أجمل التخدير، نمت النوم العميق، ما أحسست بشيء، وما رأيت أي حلم.

- الفضل للطبيب المخدر.

وتسرع في الخروج.

أتبعها أنظاري، وأنا أتأمل شعرها الأسود المرسل على ظهرها، فوق صدريتها البيضاء، وردفاها يتماوجان في إيقاع.

ألتفت إلى رشيد:

- اذهب إلى السوق، اطمئن أنا بخير.

رشيد، يعلق:

- تريد الانفراد بزوجتك، اشتقت إليها.

- لا، خذها معك، أوصلها إلى البيت، أريد الانفراد بالممرضة.

زوجتي تعلق:

- بارك الله لك فيها، لعلمك، هي أرملة، وعندها خمسة أولاد، سألحق بها وأخبرها، طبعًا سيطير عقلها من الفرح، بعدما كانت إلى جوارك في العملية، ورأت كل شيء، وعرفت، ما شاء الله، قوتك والهمة عندك.

رشيد يعلق:

- لا تصدقيه، هذا أسلوبه دائمًا في المزاح، أنت أم أولاده، ولا يبدلك بنساء الأرض.

وتعلق:

- أعرف، لو كان حقيقة، كنت ذبحته وذبحتها معه.

ويدخل الطبيب والممرضة، يسألني الطبيب:

- كيف وضعك؟

- الحمد لله، أنا مثل الحصان، العملية أنعشتني، وأعادت إليَّ الحياة، الحقيقة العملية ممتعة، كنت أخاف منها، الفضل لك، صدقني أنا مستعد لإجراء عشر عمليات، لكن بيدك أنت.

الطبيب يعلق:

- طبعا، أنا جئت لأقول لك، عندك فتق آخر في الطرف الأيسر، وهذه الممرضة سوف تجهزك الآن فورًا للعملية الثانية.

الممرضة تضيف:

- العملية الثانية هدية من المشفى، لن تكلفك أي ليرة، وسنكتفي هذه المرة بالتخدير الموضعي، لترى الطبيب وهو يجري العملية، وتستمتع أكثر.

أحس برعشة، وخفقان في القلب، أحاول النهوض، أتماسك، أقول له:

- بأمرك، أنا مستعد، لكن، بعد أسبوع، أرجو تأجيلها.

الطبيب يربت على كتفي، ويقول:

- اطمئن، كنت أمزح معك، ستخرج بعد قليل، حتى يمر بك طبيب القلب ويطمئن أكثر، لا تقلق، ستخرج، الحمد لله على سلامتك.

يخرج الطبيب والممرضة، ألتفت إلى رشيد، أقول له هامسًا:

- كم سعر الدولار اليوم في السوق؟

- انخفض للحد الأدنى، من ستة أشهر ما حصل مثل هذا الانخفاض.

أضيف:

- أسرع إلى السوق، لملم من الدولارات ولو بسعر أعلى، اجمع كل ما يمكنك جمعه، أنا سألحق بك، لن أرجع إلى البيت، اسبقني.

وألتفت إلى زوجتي أقول لها، وأنا أشير إلى التلفزيون:

- استمعنا إلى الشيخ بما فيه الكفاية، أغلقي التلفزيون، لا أعرف إذا كانت قناة أسعار الدولار مبرمجة هنا في المستشفى، لا تغلقيه، ابحثي لنا عن قناة الأغاني والفيديو كليب.

أحمد زياد محبك

غزالة

•محمد الحفري

أقسمت بحقها أن أجفاني لم تنطبق ولو للحظة واحدة. كيف لي أن أفعل ذلك وقد سكنت روحي، وصارت أمامي، وخلفي وفي كل الاتجاهات؟.

في وقتها كنت أتمعن ظلال الأشجار الحانية على جانبي الطريق، وأضواء السيارات التي تتلامع، وهي تعبر متوجسة وحذرة، وأنا لا أدري كيف انقلب سواد الليل في لحظات وتحول نهاراً مشمساً، يرسل دفئه إلى القلوب المتعبة.

كنت مجنوناً، أو أنني على أبوابه، لا تفصلني عنه سوى شعرة صغيرة حين شلعتني الريح ووضعتني عند شاطئ البحيرة الكبيرة. تمنيت لحظتها لو أنني أرافق طيور البط السابحة إلى الضفة الأخرى، لأقابل امرأة حظيت بمواعدتها ذات حلم، لكنني خفت من البنادق المصوبة نحو القلب.

آه من الخوف.

من حشر ماء الفرات في هذه البحيرة لتكون ذات ضفتين، ألا تستطيع البحيرات أن تكون بضفة واحدة يجتمع عندها كل الأحبة؟. سمعت أن "أرميا" قد أمر النهر أن يكون متعرجاً كي لا يؤذي بيوت الأرامل والمساكين.

ما دخل ذلك بعيني تلك المرأة التي التقيتها في دبسي عفنان القريبة من الماء، قرب العين من رموشها؟ يبدو أنني رجل خرف أرهقته السنون والكتب، وجننه وجه تلك المرأة، الذي يشبه الأرغفة المقمرة المحمولة على الأكف من فوق "الصاجات" صباحاً.

كنت أريد أن أبكي، وأنتحب، وأتمرغ بعد أن أرمي بنفسي فوق ترب تلك الأرض وبين الرجال الذين زرعوا أنفسهم مثل أوتاد هناك رغم أن أسلاك الكهرباء قد قطعت صلات الرحم فيما بينها ورغم أنهم حرموا من الماء المحاذي لهم، لكن وجوههم بقيت تحمل البشر وتهلل للضيف القادم، وقد التصقوا بالمكان لا يغادرونه حتى في رحيلهم الأبدي.

لم أكن ضيفاً على كل حال، كنت أريد أن يصير الجنوب شمالاً، ويصير الشمال شرقاً، وألا يصير الشرق غرباً.

البنادق مصوبة من كل الجهات وأنا بحاجة أن تحميني جهة من نفسي، والحورية الخارجة من الماء تواً سلبتني كل شيء، والماء لم يعد مجدياً في إطفاء حرائق الوجد المشتعلة بين الضلوع.

ساعدني أيها الفرات.

بقي صامتاً، فالتمست له العذر، لأنه محبوس في بحيرة، كما حبس قلبي الذاوي عندها، مع تلك الحورية.

لا. تلك المرأة بعينيها المكحولتين ليست حورية فقط، بل هي أبهى وأجمل ما أبدع الوجود من لوحات.

ساعدني يا رب كي أتفاهم مع الشوق. أعطني مدداً من عندك ولا أعتقد أنني بحاجة كي أبث شكواي من جديد، وأنت تعلم أن واحدة من مخلوقاتك قد سلبت قلبي من شروشه.

أكره الحياد، والطرف الآخر من البحيرة يتفرج علينا ويرمقنا، يرقب كل سكنة من سكناتنا. وأنا أريد ضمة قلب، وضمة الورد واقفة أمامي.

قال رجل من أهل القرية بعد أن دخلت شفقتي في قلبه: تعال نصاهرك، ونعطيك امرأة منا، تنسيك تعب الأيام.

أضاف آخر: ستعلمك كيف تغرق في حبها، قبل أن تعلمك السباحة..

اهتزت روحي وارتعشت وأنا أقول: أنني "رقاوي" منلكم. ثم شردت في عينين لم يخلق الله أبهى ولا أجمل منهما، وحين انتفضت من سهوتي، وأردت المغادرة كنت مجرد جثة فقط حيث تركت قلبي عند غزالة من غزالات دبسي عفنان.

حوار مع الفنان وليد حسون

• أحمد عساف

- الفنان وليد حسون. فنان متعدد المواهب من الرسم إلى النحت. إلى الاشتغالات على اللغة التي هي عشق له مثلما اللوحة والمنحوتة. وإن كان يميل إلى النحت أكثر. تخرج من المركز الفنون التشكيلية في اللاذقية. وحاز العديد من الجوائز في الرسم والنحت، اللغة العربية والنحت والرسم ثالوث مهم في حياة المبدع المتألق وليد حسون. حاز إجازة في اللغة العربية من جامعة تشرين في اللاذقية. ودبلوم تأهيل تربوي. وشهادة تخرج من مركز الفنون التشكيلية في اللاذقية. برنامجه التلفزيوني (ألوان الكلمات) مازال يحظى بكل المتابعة الجادة. مع الفنان وليد حسون. وهذا الحوار:

- لو عدنا إلى ضفاف الذاكرة. ماذا نجد؟ -

ستجد ذاك الطفل الذي كان يعشق الرسم لدرجة لفتت انتباه الجميع، في المدرسة تابعت شغفي بالرسم، كنت أقوم بتزيين كراريسي المدرسية، وتميزت في الأشغال حيث بريق الألوان وتوهجها وأبدعت في تلك الاشتغالات الجميلة، لكن الرسم كان هاجسي المبكر، استمر هذا الشغف يلازمني كظل بادلني الحب بالحب، وأصبحنا أصدقاء يحبني وأحبه كثيرا ولا يملني ولا أنا كذلك. مع مرور الزمن البكر، تحولنا لظل لشخص واحد.

ذات مرة تم الإعلان عن مسابقة للفن التشكيلي بمناسبة الحركة التصحيحية في العام - 1974فشاركت في تلك المسابقة ونلت المركز الثاني عن لوحة نفذتها بالألوان المائية وبكثير من التألق والإبداع. وشاركت بالمسابقة ونلت المركز الثاني عن لوحة بالألوان المائية

شاركت بعدها باليوبيل الذهبي لذكرى (جول جمال) عبر لوحات بالرسم الزيتي، شاركت بلوحتين، كما أنني وفي ذات المناسبة الغالية شاركت بالعمل المسرحي (صوت من ذي قار) كما شاركت بنشيد اليوبيل الذهبي لذكرى جول جمال. وكنت قد انتسبت إلى مركز الفنون التشكيلية في اللاذقية وتخرجت منه ، مضيفا تطورا ملحوظا في مسيرتي الفنية.

- أنت بالإضافة إلى الرسم تمارس النحت أيضا؟ كيف بدأت مع النحت؟

استهواني النحت مثلما الرسم. وحين تم الإعلان عن مسابقة للنحت في اللاذقية. قمت بنحت عمل نحتي أسميته (ماسح الأحذية) ، وشاركت في تلك المسابقة ، لكن مشاركتي جاءت متأخرة فلم أحصل على شيء، سوى المزيد من الإصرار على مواصلة التجربة في المرة الثانية شاركت بتمثال (استراحة فلاح) وحزت على جائزة الاقتناء مت وزارة الثقافة.

ما هي الألوان القريبة من روحك ومن عالمك الفني؟ ولماذا؟

اللون القريب من روحي هو اللون الأزرق حيث فيه الصفاء والجمال والحكمة والهدوء الداخلي يليه اللون الأخضر حيث لحياة والنمو والعطاء والديمومة في الانتماء لاستمرارية الحياة.

- النحت والرسم ينهلان من ينابيع الفن عموما. لكن لكل منهما خصوصيته. وشخصيته الفنية. الفنان وليد حسون أين يجد ذاته الفنية أكثر؟

أجد نفسي في النحت حيث محاكاة الواقع والتعبير وخاصة نحت الوجوه

نلاحظ في إبداعاتك ذاك الحضور الأسر للمرأة والبحر. حدثنا عن هذه الحالة؟

التفاعل مع مواطن الجمال متمثلا بالمرأة وفتنتها والبحر الذي يبعث في النفس البشرية السكينة والهدوء الداخلي حيث البحر مصرف للأحزان حيث يغسل المرء درن الهموم والتعب

-هل تنوي كتابة مذكراتك ، ومن ثم تصدرها في كتاب اترك هذا الأمر لأبنائي بعد ان يأخذ الله أمانته ، لاأحب أن أجمل نفسي أحب أن اذكر بما انا أهله فقط

لوعرجنا قليلا على تجربتك في التلفزيون وبرنامجك المعروف (ألوان الكلمات). ماذا تحدثنا؟

عام 2005 نجحت بمسابقة معد ومقدم برامج تعليمية تلفزيونية.

وكان نشاطي أيام القناة الثانية باللغة الإنكليزية وكان أول درس تلفزيوني إني ذكرتك في الزهراء لابن زيدون وكانت حلقة مميزة

ثم قمت بإعداد برنامج تلفزيوني من ثمانية عشرة حلقة (ماذا يسمى)

عرض منها خمسة عشرة حلقة

ثم انشات قناة على اليوتيوب

ثم قدمت برنامج ألوان الكلمات وهو من إعدادي وتقديمي ومشاركة حفيدتي من تصوير ابني مهند وبرمجته ومن إخراج ابني مصعب

الهدف من هذا البرنامج تسليط الضوء على جمالية اللغة العربية وعمقها وغناها وإنزالها المكانة اللائقة بها

ترجيع القراءة

• ضحى مهنا

حين راجعتُ الجزء الأول من روايتي (رحل النهار مبكراً) رأيت أن قصة النبي يوسف تسلّلت إلى إحدى شخصيات الرواية وتماهت معها من دون أن تتطابقا، بل كانتا تفترقان من حين لآخر. وانسحب هذا في الجزء الثاني الذي سيصدر قريباً. وبدا لي عن وعي أو من دونه أن قصة ذلك اليوسف كانت مختبئة في زاوية بعيدة في رأسي، أحببتُ حقاً الأمر بعد أن استغربتُه أياماً، لكنني لم أرجع عنه، ومضيتُ في تطوير هذه الشخصية في الجزء الثالث للرواية، لكنني لن أنسخ قصة النبي يوسف، فأنا أدعي أني أمارس الديمقراطية مع شخصيات روايتي أو قصصي القصيرة، فأترك لهم الحرية في خياراتهم.

وقد أطلقتُ على الشخصية هذه اسم يوسف الجميل وصدقوني أني لم أقصد إليه حينئذ، لكنه من الأسماء التي أحبها كما أحب اسم مروان وعلي وأميّة وبيلاسلمى، وما كان يوسف في الرواية ابناً لأحد الأنبياء أو الأكابر، بل كان كما قالت حماته في الرواية غاضبة «ما معروف قرعة أبوه من وين» لكنها قدرته لاحقاً تقديراً جاء متباطئاً بعد أن أظهر يوسف في الرواية ذكاء ومحبة و.. و.. صفات تليق بأنبياء الأرض الذين يشبهون أنبياء السماء، وكانت الظروف والحيوات قد اختلفت، أما ذلك اليوسف القديم فقد اطلعتُ على قصته مع قصص أخرى حين كنتُ أقرأ لأمي كلّ يوم صفحات من القرآن الكريم، فيبتعد تعبها وتطمئن نفسها. أذكر أنها استعجلتني يوماً لأنهي جدالاً وأنتقل إلى قصة ستنا مريم وسيدنا نوح والعبد الصالح، بدأ الجدل وما كان حقيقياً تماماً حين قلتُ لأمي بأن النسوة أحبّت يوسف لأنه حلو، وليس لأنه كان ذكياً وصبوراً ومتسامحاً كما تقولين. أرى الآن جيداً نظرتها المريبة الشكّاكة التي يعرفها الأبناء، ربما كانت تقول في نفسها «متى كبرت هذه البنت؟» واستمر الكلام حول ذلك اليوسف الحلو حين قلت بجرأة وصلت إلى وقاحة صغيرة بأن يوسف رجع عن امرأة العزيز حين همّت به وهمّ بها لأنه كان عفيفاً وفياً للعزيز الذي ربّاه فأوضحت أمي «بل لأنه كان من سلالة الأنبياء» وجادلتها بأنه لو كان كذلك فلماذا إذاً فعل به إخوته ما فعلوه بشرّ غيرتهم وقسوتهم وكانوا هم من أبناء الأنبياء، لا تجيب أمي، وتعود بعد صمت قصير إلى الحديث عن صفات النبي يوسف فترفع من شأن ذكائه واجتهاده وأمانته، كان يساعد من حوله ويعلمهم بمحبة لا حدود لها. وكان صبوراً على ظلم الفراق وعذابه وهو يعيش سنين بعيداً عن عائلته وأبيه الذي كان يخصّه بالحب والحنان.. وما نسيت أمي أن تذكّرني بأن يوسف ما كان جميلاً فحسب، إنما كان متسامحاً وذلك حين سامح إخوته وقد تعرّف عليهم في إحدى رحلاتهم التجارية، ساعدهم وأكرمهم بعد لعبة ذكية منه، ويقال إنه قرّبهم ورفعهم إليه وكان قد أصبح يدير خزائن العزيز، أتذكر أني تجرأت ثانية فعدتُ عن قصد إلى ذكاء يوسف الذي خلّصه من السجن الذي رماه فيه العزيز بعد أن اتهمته زوجته بالتحرش أو أكثر، فأثبت يوسف للعزيز براءته حين دافع عن نفسه بأفضل مما كان سيفعل شارلوك هولز بعد تحقيقات طويلة. قال يوسف في دفاعه بأنه لو كان صحيحاً ما تدعيه امرأة العزيز لتمزّق قميصه من الأمام لا من الخلف حين شدّتْه إليها بعد أن استدار عنها وهي تشهق بشهوانيتها، وكانت قد عادت سريعاً إليه طهارته ووفاؤه بعد لحظات من غبش في الرؤية تسبّبت به الغرائز.

وصدّقه العزيز واعترفت الزوجة بما وقع... وعكت الثرثرة بين القوم وبخاصة بين النسوة، فليس أكثر تسلية مثيرة من قصص ما بين الأفخاذ التي تبقى منذ القدم للأسف أكثر إثارة من قضية العدالة والخبز ولكنني لم أقل لأمي حينئذ الجمل الأخيرة لأني ماكنت أعرف في ذلك الوقت صخب تلك الثرثرات القديمة والحديثة المتصلة بهذا الموضوع وعدتُ إلى مشهد النسوة اللواتي مزّقن زوجة العزيز بألسنة الأفاعي فجمعتهن ووضعت بين أيديهن سكاكين ثم أدخلت عليهن يوسف لتريهنّ سطوة جماله التي لن تصمد أمامها امرأة، وبقية القصة معروفة.

والآن وربما في الماضي أسمع شهوات النسوة الحارقة أمام ذلك اليوسف الحلو ـ وربما ضحكت ضحكة قصيرة خبيثة فرأيت أمي تدير لي ظهرها وهي تستغفر ربها ثم ادّعت بأنها تريد أن تأخذ غفوة بعد أن رشقتني بنظرة تختص بها الأمهات القلقات، فأتابع بأن القرآن الكريم أحسن سرد تلك القصة الجميلة بصدق ساحر وأبدع في تصويرها وهو يرصد المشاعر الإنسانية والغرائز البشرية التي قد تطال أبناء الأنبياء. وبقيت أمي تتظاهر بالنوم، وما كانت أمي متزمتة أو بليدة رغم تعليمها المحدود، لكنها ربما خافت على ابنتها الصغيرة حين رأت ابتسامة على ملامحها وقد تحركت داخلها مشاعر غامضة لذيذة، لا بد أنها قالت لنفسها بأن من المبكر أن تستيقظ هذه المراهقة على هذه المشاعر، أما يوسف الجميل في رواية (رحل النهار مبكراً) فأخذ من يوسف الحلو وسامته وذكاءه وسخاءه الطيب وصبره الجميل ليجعل منه رجلاً قوياً محباً ومحبوباً، لكنه في مراحل من حياته لم يأخذ منه التسامح بعد أن نالتْه إساءات كثيرة. قال مرة لصديقته بأنه لن يسامح فليس بنبيّ من السماء.. وسكت على مضض وكانت له أسبابه وهو يقول «لكم دينكم ولي ديني!» وما كان دينه سوى خيارات تعادل الوجود. كانت خيارات صعبة وقاسية دفع أمامها أثماناً باهظة. وكان يوسف الجميل يحتفي بالقلب ومشاعره فافترق ثانية عن يوسف الحلو. لا أعرف إن كان سيسامح في مستقبل حياته لأن الظروف تقلّبت بقسوة وحشية.

قصدتُ أن أكتب شيئاً مختلفاً رأيته مفيداً مسلياً، ربما يرتخي قليلاً هذا الجو المشدود بالحروب والأوبئة، مع تمنياتي ألاّ يأخذ التأويل بعيداً بعض القراء، فقد صار التأويل موضة بعد أن أمسك كل واحد بكتابه، وتكاثر كتبةُ التكنولوجية الساحرة وتزاحمت فيها السفاهة وكادت تطغى على الظرافة الذكية.

أن يحتسي الشاعرُ حزنه "بالحذاء"

من الشعر الروسي ما بعد الحقبة السوفياتية (جيل الشباب)

• ترجمة وإعداد إبراهيم إستنبولي

.1

يكاترينا ياكوفلوفا Ekatrina Yakovleva

ولدت الشاعرة يكاترينا فيكتورفنا ياكوفلوفا عام 1986 في بلدة زابولارني التابعة لإقليم مورمانسك. بدأت كتابة الشعر منذ نعومة أظفارها. أنهت عام 1989 معهد العلوم الإنسانية في مدينة مورمانسك. عضو في اتحاد كتاب روسيا. نشرت قصائدها في العديد من الصحف والمجلات الأدبية: "الجريدة الأدبية"، "أخبار مورمانسك"، "مورمانسك المسائية". صدر لها ديوان شعري عام 2015 بعنوان "هبني كاملاً". حازت على العديد من الجوائز والشهادات ومن بينها جائزة الشاعر الروسي الفذ نيكولاي غوميليف لعموم روسيا عام 2014. شاركت في المنتدى الأدبي الروسي الصيني للشعراء الشباب الذي جرت أعماله في مدينة شنغهاي الصينية. تعيش في مورمانسك حيث تعمل في مستشفى الحالات الإسعافية في المدينة.

.1

ثمة بيت قديم قرب النهر، حيث يوجد
قارب مربوط
وقد غفا دافئًا مقدمته في الرمل الضارب
إلى البياض.
ثمة هرّ استلقى على المصطبة
وانثنى على شكل قوس،
لقد بات جنبه الناعم دافئًا من حرارة
الشمس.
المساء ثقيل وكسول يطول مثل خيط
القطران،
والذباب يسبح في سطل الحليب،
وثمة عناقيد حمراء تعرّش بين درف
النافذة،
بينما آلة الهارمونيا تصمت تحت منشفة
مطرزة بالأزهار.
تنظر – وإذ بالأجفان تصبح ثقيلة من
الرطوبة.
وفجأة تدرك أنَّ جميع حقائق الدنيا
بسيطة...
فتشعر بالغبطة لأنَّ ورقةً بيضاء
تدلّت على شكل أزهار فوق أيقونة
قديمة...
يعبق فناء الدار برائحة لذيذة لنعناع
مقطوف،
ويلوح في البعيد عند التخوم حصان
بقوائم نحيلة،
لقد سبق وكنتُ سعيدة هنا ذات يوم...
أما الآن فأنا لم أعد موجودة هنا.
ولن أكون بعد الآن.

.2

مضى كلّ شيء.
ولم يبقَ لي سوى أن أرسم
على ثغري ابتسامة...
بدت لي روحي مثقلة كثيرًا،
ولكني أعرف أنها فارغة.
لا أطمح إلى الأشعة الباهتة –
فهي لن تدوم لوقت طويل...
أصبحتُ الآن أنام الليالي هادئة،
وقد أغلقت ستارة النافذة
بإحكام.
سوف أخرج من البيت في أروع فستان –
سواء كان يومًا عاديًا أو كان ثمة
احتفال...
هيا قلْ لي، ألم تكن تتمنى مثل هذا
الجمال ومثل هذه السعادة،
بالفعل؟..

.3

أن تستيقظ مفعمًا بمشاعر السعادة،
قبل طلوع الفجر وحتى قبل جميع
الطيور،
وأن تلامس بقدمين خفيفين أرضية
البيت
الخشبية، الدافئة وهي تصرّ
وأن تلتصق إلى النافذة -
حيث سيشرق الفجر حقيقة
ناصعة،
هيا ابتهج واستقبل...
وأن ترى كيف إنَّ أزهار
شاي إيفان(1) راحت تتساقط
مع الغبار بعد أن ذبلت.

أندريه أنتيبين Andrei Antypin

ولد أندريه أنتيبين عام 1984 في قرية صغيرة في ناحية أوست – كوتسك من منطقة إركوتسك. عضو اتحاد كتاب روسيا. أنهى عام 2008 كلية الآداب والصحافة في جامعة إركوتسك الحكومية. بدأ بنشر أعماله الأدبية من شعر ونثر في مختلف الجرائد والمجلات مثل "موسكو" و"معاصرنا"، "سيبيريا" و"الشباب". صدر له عام 2012 أول ديوان شعري بعنوان "قطرات آذار" عن دار نشر محلية. كما صدر كتابه الثاني "حكاية حياتية" في نفس العام 2012 عن دار "الكتاب السيبيري" وكان كتابًا في النثر الأدبي. حاز على جوائز عديدة من أهمها جائزة إيفان غونتشاروف الأدبية الدولية وذلك عام 2015. فاز عام 2016 بجائزة "ديلفيغ الفتي" عن كتابه القصصي حكاية حياتية باعتباره استمرارًا للتقاليد الواقعية الروسية في الأدب. يعيش ويعمل في قريته بوديماخينو.

.1

السمكة الذهبية
كما هو حال ذلك العجوز في كوخ على
شاطئ البحر –
أمضيت ثلاثين عامًا وفوقها ثلاثة زيادة
وأنا «أكرَخ» الحزنَ بالحذاء(2)
وأحرث مثل ثور من طلوع الفجر وحتى
المغيب.
خرجت في البحر ذات يوم.
راح البحر يقذف أمواجًا عاتية إلى
الشاطئ بقوّة هائلة.
وقعت في شبكة صيدي الفنلندية سمكة
ثم راحت تتوسل كما لو أنها إنسان:
«أتمنى لك حياة هانئة من دون ضيق،
وألا يصيبك أذى أبدًا حتى طلوع الفجر،
ابحث، يا إيميليا(3) عن زوجة عملية
وأما أنا فاعطني الحذاء كهدية
بالمقابل».
نفّذتُ كلَّ ما طلبته مني. ثم تركتها تعود
إلى البحر.
ولكي لا أفطس من دون حبٍّ،
وجدتُ لنفسي بُنيّة في الصفوف العليا
وانضممت إليها في ضواحي موسكو.
بدأت منذ ذلك الحين سلسلة من
الأخطاء:
تارة يوم أحمر على روسيا
وتارة يوم أسود!
إيه، أيتها السمكة، أيتها السمكة!
هيا خدي هذه العجوز(4) عني،
واعيدي لي كلَّ ما هو لي.

.2

يرفعون أياديهم نحو السماء – إنهم
بشر.
والشجر يمدُّ غصنًا مُجعّدًا راتنجيًا.
ولكن ماذا عن الأنهار؟
فالأنهار أشبه بالمعاقين!
إذ ليس للأنهار يدان كي
ترفعهما نحو السماء.
أسمع همسًا دافئًا للبشر.
وثمة شجرة صنوبر تصرُّ
وهي تأرجح الأسلاك.
ومع ذلك الماء أقرب إلى الله –
سواء كانت المياه حيّة
أو ميّتة!

.3

أسلوب
راح مسمارٌ كبير معقوف ومتفاصح
يبث كما لو أنه قطر سامٌّ منكمش،
أنّ هذا كلّه أسلوبٌ معروف.
ومع أنه الآن بات مُنسّقًا كنوع من الخردة،
بمعنى أن هات اعطنا أنتَ ما هو مختلف.
لكن الأسلوب، أيها الأصدقاء،
ليس مادة لدنة أو صلصالًا،
لكي يكون بإمكانك أن تصوغ نفسك
بشكل مغاير.
وهناك، للعلم، في أسرتي
أبٌ وأمٌ. وأنا لهما ابن.
ولستُ كلبًا ضالًا.

.4

أبيات شتوية
الثلجُ يصرُّ والبوابة تتأرجح...
كما لو أنَّ ريحًا تعصف في أنبوب!
لا يحتاج الأمر سوى القليل
لكي ينفجر القلب
ولكي تشتعل الشفاه مع الشفاه.
لن أقول أنَّ الروحَ صحراءُ مُقفرة،
ولكن يحدث في بعض الأحيان
أن اسمَ الحبيبة يرنُّ
مثل قطعة جليد تحت الأسنان.
وفجأة يبدو الأمر لا قيمة لهُ:
لقد تلاشى كلّ أثر لعشقها!
ومع ذلك ها أنت لمْ تنجُ
من الشوق إليها
ولن تنجو!

يكاترينا إغناتيفا Ekatrina Egnateva

ولدت الشاعرة يكاترينا إغناتيفا في مدينة بريوزرسك التابعة لمنطقة لينينغراد عام 1990. نالت شهادة الماجستر من جامعة سان بطرسبورغ لتقنيات الإدارة والاقتصاد باختصاص "فقه القانون"

تعمل في الوقت الحالي مدرّسًا في احد المعاهد وتدرس لنيل شهادة ماجستر في القانون. ينصبُّ اهتمامها على الملكية الفكرية وحقوق المؤلف.

يكاترينا إغناتيفا عضو في اتحاد الكتاب الروس. صدر لها خمسة دواوين شعرية. حازت على جوائز عديدة، وفازت في مسابقة "ثروة روسيا الوطنية" لعموم الاتحاد الروسي. شاركت في المنتدى الثالث للكتاب الشباب "روسيا – الصين" عام 2019.

ترجمت أشعارها إلى اللغة الصينية.
على التخوم
أصبحنا نغمةً لألحان زائفة...
والدقائق كلّها عند تخوم القرون.
اليأس يهيمن عبر الشائعات،
ويقصف القلب مباشرةً بنقود رنانة،
بطريقة متجهمة وبائسة،
مسبّبًا الإرهاق للحنان تحت الجلد.
الغيوم تسبح متفرقةً.
والناس يبتسمون بلا مبالاة.
تتحول التوقعات إلى مساومات.
والزمن يبعث على السُكْر
بالفقدان المباغت،
تارة يشدّك إليه، وتارة يرفضك.
ويمتهن المتاجرة بتفخيم الهَوَس.

×××××

يؤسفنا أن يكون ما نراه ليس دموعًا،
وانما صرخة لابتسامة من خلالها.
والمثير للشفقة ليست شجرة البتولا
القديمة،
وانما أعباء الأغصان الحية.
في كلّ شيء ثمة علامةٌ لفراق،
ونظرة ساهية لوداع.
ولكن، كلما كان الصيف وقحًا أكثر،
كانت رائحة الخريف أكثر إثمًا.

×××××

ثمة زهرة من دون اسم
تتفتح خلسة
عبر غبار الطريق
على حافة الصيف.
تحيا فيوض البتلات الزرقاء
لأجل نظرات الحزانى،
لأجل خطوات العجولين.
تتمدد سويقة أرهقتها الريح،
نحو قمم واسعة:
لو يتاح لي أن أحلّق في السماء!
فالفجر هناك يندمج مع هواء الصباح،
وتذوب الترنيمات في الغروب
المائل...
لكن الزهرة إذ تتشبث بالأرض بجذورها
بقوّة،
ترمي بتلاتها الزرقاء.

×××××

هو - «أنا آسف!»،
وأما أنا –فَ "وداعًا"!
كان هذا الموديل
يزيننا.
معًا – إلى قمّة التل
ومن أعلى الجبل.
أن تثق – بالقدر المناسب،
لوقت محدّد...
أذاب الجليد الكريستالي
العبارات -
في أوّل مرّة –
لآخر مرة.
لقد تحقّق
ما كان يجب أن يحصل:
ليس مقرّرًا أن نكون معًا،
بل أن يذهب كلٌّ منّا في طريقه.

---

(1) المقصود نبات السنفية الاسم العلمي- Epilobium يتبع فصيلة الأخدرية من رتبة الآسيات.. له أزهار جميلة. وقد أطلق عليه في روسيا اسم شاي إيفان بسبب كثرة استخدامه في روسيا.. حيث يعتبر مشروبًا شعبيًا منذ القرن الثاني الميلادي. المترجم

(2) كناية عن العيش في حالة من الحزن الشديد وتكرار المصائب والخسارات... المترجم

(3) نسبة لبطل الحكاية الشعبية الشائعة جدًّا لدى السلاف الشرقيين "Emelya the Fool"، «The Tale of Emelya the Fool» وتتحدث عن إميليا الأحمق وقد اصطاد سمكة وراحت تتحدث إليه بصوت بشري... الخ المترجم

(4) هناك قول مأثور روسي كما لو أن الأخطاء ترتبط بالعجائز... المترجم

الأدب الأسبوعي
جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام ١٩٨٦

المدير المسؤول: مالك صقور
رئيس اتحاد الكتاب العرب

رئيس التحرير: أ.محمد حديفي

مدير التحرير: د.حسن حميد

الإشراف الفني: نضال فهيم عيسى

رئيس القسم الفني: مها حسن

هيئة التحرير:
أمير سماوي، د. سليم بركات، سهيل الديب،
علوش عساف، عماد نداف، محمد الحفري

المراسلات
الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص.ب(3230) - هاتف 6117240-6117241 -فاكس 6117244- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير. هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 25 ل.س - في الوطن العربي: 0,5 $ خارج الوطن العربي1$ أو ما يعادله. تضاف أجور البريد للمشتركين خارج سورية

الاشتراك السنوي -داخل القطر:أعضاء اتحاد الكتاب العرب 700 ل س - للأفراد2000ل.س -وزارات ومؤسسات2400ل.س - في الوطن العربي:للأفراد6000ل.س أو150$ - للوزارات والمؤسسات 8000.س أو175$-خارج الوطن العربي:للأفراد 20000ل.س أو 360$ - للمؤسسات30000ل.س أو420$ والقيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر اتحاد الكتاب العرب -دمشق ويرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجة نظر كاتبها

www.awu.sy
E-mail :
alesboa2016@hotmail.com

للنشر في الأسبوع الأدبي
يراعى أن تكون المادة:
• غير منشورة ورقياً أو عبر الشابكة.
• منضدة ومراجعة ومدققة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
• ألا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمائة كلمة.
• يرفق مع المادة CD أو ترسل عبر البريد الالكتروني hotmail.com@alesboa2016
• يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.

•أ.محمد حديفي - رئيس التحرير

على أبواب العام الجديد

الآن وسورية الأرض والإنسان تودع عاماً مضى وانقضى، وتسعى لتبلسم الجراح التي نزفت وما زالت تنزف حتى الآن، لابد من وقفة مع الذات، لا لنحصي خسائرنا وهي كثيرة لا تُعد ولا تُحصى، ولا لنفند الحجج أو نبين الأسباب التي تضافرت مع الظلم والاستكبار، لتجثم على صدور السوريين، وتسعى لإطفاء أية شمعة تُضاء من أجل أن تتضح الرؤية وينهزم الظلام، وكل ذلك من أجل أن تبقى سورية مشغولةً بالدفاع عن نفسها ووجودها. مواطنها مشغولٌ بحياته اليومية، يلهث من أجل تأمين لقمة العيش لأبنائه الجائعين، وتنسى القضايا الكبرى التي تصدت لها كبلد له تاريخه المضيء، ومواقفه المشرفة في مقارعة الاستعمار والذود عن حدود الوطن..

السوري الآن أمام امتحانٍ لا أقسى ولا أصعب، فبفعل الاستهداف المنهج الذي يتعرض له منذ عقد من الزمن، والحصار الاقتصادي الجائر المفروض عليه من الدول الاستعمارية الكبرى، وعدم توفر السلع الأساسية الضرورية لسد الرمق. يقف السوري مندهشاً ومتسائلاً عن السبب الذي جعل هذه الدول الكبرى كالولايات المتحدة الأميركية، والاتحاد الأوروبي، ومن يدور بفلكهما من «الأشقاء» العرب، تضع السوري هدفاً لها وتجند ترساناتها العسكرية الضخمة لتنال من استقرار سورية، لا بل وتسعى لمحو هذا البلد العريق من خريطة العالم، ولكي نعرف الأسباب الكامنة خلف ذلك، لابد من القول: في حالة كهذه فتش عن «إسرائيل»، وفي تقديري أن ذلك لم يعد خافياً على أحد، فاللوبي الصهيوني جاء بالحاقدين وقطاع الطرق بعد أن قام بتجميعهم من شوارع العالم، واستولى على فلسطين بتآمر دولي، فغرس جذوره في المنطقة مستغلاً أمرين اثنين: الأول ضعف العرب وتفككهم وتشرذمهم، والثاني تعاطف الدول الكبرى وفي طليعتها بريطانيا التي مهدت الطريق، وهيأت الأجواء المناسبة مستعينة بجهود الدول الغربية التي أرادت التخلص من شر الصهاينة، والدفع بهم إلى احتلال منطقة استراتيجية تعني الكثير إلى الغرب برمته سواء من حيث ما تحتويه من خيرات في باطن الأرض وفوقها، أو ما تمتاز به من موقع استراتيجي هام وضروري للتجارة العالمية، وهنا تضافرت عدة عوامل وعززت موقف إسرائيل، وعملت على تجذرها بالمنطقة، للبدء بالتوسع حتى وصلنا إلى ما نحن عليه الآن من انقسامٍ في المواقف العربية، وحرص بعض الدول على التطبيع الكامل مع العدو الصهيوني، الأمر الذي يُضعف موقف سورية، ويزيد حجم الضغط عليها بهدف التخلي عن تبني القضية الفلسطينية، والتنازل عن الجولان الذي يشكل بالنسبة للسوريين خطاً أحمر، لأن الأرض بالنسبة لهم أمر يصل إلى حد القداسة ولا تجوز المساومة عليه..

في هذه الظروف الصعبة التي تطرقنا لبعض منها يقف الجيش العربي السوري بالمرصاد لكل هذه التحركات المشبوهة، ويصمد أمام الهجمات المتتالية من الإرهابيين الذين تدعمهم الدول الكبرى، وتهيء لهم أحدث الأسلحة وأشدها فتكاً، والمال العربي وبكل أسف جاهز للتمويل والبذل والعطاء، وكل ذلك يصب في خانة الكيان الصهيوني، ويزيد العبء على الجيش العربي السوري الذي يقدم فريضة الدم على مذبح الوطن، ويدفع الأثمان الباهظة من الشهداء الذين يتقاطرون قوافل عزٍ وصمود من أجل أن تبقى راية الوطن مرفوعةً، وحدوده مصانةً، وترابه المقدس المجبول بالدم الطهور نقياً طاهراً، وتُمرع في مسامه شقائق النعمان..

وإنه لمما لا شك فيه أن الشعب السوري، ومن خلال صموده الأسطوري، وثباته أمام الحملات الشرسة التي استهدفته في أمتهُ ولقمة عيشه استطاع أن يقدم أروع الأمثلة في صبره وقدرته على التحمل، لأنه يؤمن إيماناً كاملاً بأن الأرض، والتجذر فيها، والثبات فوقها هو الأقوم والأجدى والأنبل، وكل شيء أمام ذلك يهون..

إذن نحن أمام قائدٍ حكيم وجيشٍ بطل، وشعبٍ صابر محتسب يساند جيشه، ويعزز من صموده، وهذه أمورٌ ضرورية لكي نواصل الثبات، ونعزز الأمل بالنصر المؤزر الأكيد..

أمام ذلك كله تبرز قوة ثالثة لا تقل أهميةً عن امتشاق السلاح، والوقوف في الخندق للدفاع عن تراب الوطن، وهو الدور الذي تلعبه الكلمة المضيئة الهادفة من أجل الإضاءة على هذه البطولات الأسطورية، وتعميق الإحساس بقدسية تراب الوطن، وكشف النوايا الخبيثة التي يبيتها لنا أعداؤنا التاريخيون، فيبرز دور المثقف كمواطن يعي أبعاد المؤامرة، ويدرك أهدافها ومراميها، وفي حالٍ كهذه نرى أن المثقف الذي تحصن بالعلم، كي يصل إلى الهدف الأسمى الذي يتجلى بإذكاء الروح الوطنية، وتسخير الثقافة بكافة صنوفها لتعزيز صمود الجيش والشعب، وكشف المؤامرات والنوايا الخبيثة التي تعمل في الظلام لتفتيت الجهود، ونشر الإشاعات الكاذبة، من أجل زعزعة ثقة المواطن بجيشه وقيادته، حتى يسهل على الإرهاب التغلغل بين صفوف المواطنين، وتشتيت جهودهم، وزعزعة إيمانهم بالنصر، والثبات أمام ما يعترضهم من مصاعب وعقبات..

لا شك بأن لاتحاد الكتّاب العرب في سورية دوراً يجب أن يكون طليعياً في توجيه دفة الثقافة، وتفعيل الحراك الثقافي عن طريق التصدي للقضايا الكبرى بطريقة منهجية واعية، وهذا يتم برسم المشاريع الثقافية الهامة وتفعيلها والعمل عليها، ولكي يتحقق هذا الأمر لابد من إيصال أصحاب الكفاءات الذين يضعون مصلحة الوطن فوق كل اعتبار، والتخلي عن المصالح الشخصية الضيقة، لذلك والدورة التاسعة لمجلس الاتحاد والمكتب التنفيذي قد شارفت على الانتهاء بسلبياتها وإيجابياتها، وصار الوقت متاحاً الآن لانتخاب قيادة جديدة بدم جديد يرفد مسيرة الاتحاد ويعزز مكانته ودوره الذي يجب أن يكون طليعياً، لابد للكاتب الحقيقي المخلص للثقافة الهادفة والوطن من أن يمنح الثقة لمن يجده جديراً بتحمل هذه المسؤولية المقدسة، وفي تقديري أنه على الكاتب الناخب أن يراعي مسائل عديدة حين يتخذ قراره لمنح الثقة، ويأتي في طليعة ذلك مراعاة مسيرة الكاتب وماضيه، ومسلكه الأخلاقي، لأن الأخلاق الحسنة والماضي غير الملوث دليلان هامان لكشف المسار الذي سيسلكه الكاتب في مسيرة قيادة الاتحاد، ناهيك عن مكانته الإبداعية، وما قدمه لرفد الثقافة ومسيرتها، فالترفع عن الصغائر والمكاسب المادية غير المشروعة، والشللية، والكيد للآخر، والتعالي على زملاء الحرف بعد تسلم المنصب أمور يجب أن تؤخذ جميعها بعين الاعتبار، والآن أرى أن الكل معروفٌ للكل، فليس هنالك من كاتب يستطيع أن يتخفى ويخبئ مسيرته حتى لو جنّد كثيرين حوله يهتفون له، ويمجدون بطولاته المزيفة، وتضحياته في سبيل الوطن، كما أن الحملات الظالمة التي تشن زوراً وبهتاناً على بعض الكتّاب لإبعادهم عن الساحة فهي مكشوفة ومعروفة من الجميع..

نتمنى أن نوفق جميعاً بالوصول إلى اختيار الأجدر والأنقى والأصلح كي نكون جديرين بحمل راية الثقافة والنهوض بها في زمن كثر به المتسلقون.

mouhammad.houdaifi@gmail.com

قالت لي الشمس

صدر عن الهيئة العامة السورية للكتاب للشاعر علوش عسّاف ديوان شعر بعنوان: «قالت لي الشمس».

ومن أجوائه:

في دفتر القلب سجلت الهوى قدرا
لا تعصين الهوى إن شاء أو أمرا
واخفض جناحك في محراب حضرته
وافرش له الأرض أقماراً إذا حضرا
عانق جنونك واسرح في مجرته
والعب مع الريح عمراً واركب الخطرا
واسجد مع الفجر في ميقات كعبته
وارجم بذنب المعاصي من به كفرا
واملأ كفك من أسرار فتنته
واملأ عيونك من ألحاظه نظرا

جاء الديوان في حوالي 112 صفحة من القطع الصغير